المشرق

روايات مورخي العرب

في صوم النصارى وفصحهم

جمعها الاب لويس شيخو اليسوعي

ان في تآليف قدماء كتبة العرب مروياتٍ لطيفة عن اعياد النصارى وعاداتهم في مواسمهم المختلفة تشهد على معتقداتهم واخلاقهم في عهد الاسلام كما انها تصرح عن آراء اولئك الكتبة في تلك المذاهب. فحسبنا ان نجمع هنا ما قالوه في صوم النصارى وجمعة الآلام وعيد الفصح الى العنصرة وهي الاعياد المعروفة في الكنيسة بالاعياد المتنقلة التي يختلف وقوعها كلّ سنة باختلاف وقوع الفصح في الاحد الاوّل الواقع بعد الاعتدال الربيعيّ وهو في هذه السنة في ١٢ نيسان على حسب التاريخ الغربيّ والاصلاح الغريغوريّ

واخصّ الكتبة الذين نقلنا عنهم هذه الروايات هم ابو جعفر الطبري من اقدم مؤرخي العرب ثم ابو الريحان البيروني من كتابه الآثار الباقية ثمّ شمس الدين الدمشقي من كتابه نخبة الدهر في عجائب البرّ والبحر ثم ابن الاثير من تاريخه الكامل وابو الفداء وابن الوردي وابن خلدون من تواريخهم ثم المقدسي من كتابه الموسوم بالبدء ثمّ المسعودي من كتابه التنبيه والاشراف ثم القلقشندي من كتابه صبح الاعشى ثمّ ابن الحاج من كتابه المدخل نروي نصوصهم بحروفها ونذيلها ببعض الملحوظات عند اللزوم. أمّا طقوس النصارى ورتب الكنائس الشرقيّة والغربيّة في تلك الازمنة فقد سبق لنا ذكرها في مقالة واسعة (المشرق ١٠[١٩٠٧]: ٢٨٩—٣٠٤)

١ الصوم الكبير

اوردنا سابقاً في المشرق ٥ [١٩٠٢] : ٣٤٤–٣٤٧) فصلاً بديعاً عن الحساب الفصحي وبدء الصوم عند النصارى رويناهُ عن كتاب البيروني «الآثار الباقية» فلا حاجة الى تكريره . فنضيف اليه ما يأتي نقلاً عن تاريخ ابي الفداء (١ : ٩٥) مع روايات تاريخ ابن الوردي (١ : ٨٠) قالوا :

«صوم النصارى الكبير تسعة واربعون يوماً اولها يوم الاثنين وهو اقرب الاثنين الى الاجتماع (١ الكائن فيما بين اليوم الثاني من شباط الى اليوم الثامن من آذار . فايُّ اثنين كان اقربَ اليه إمّا قبل الاجتماع وامّا بعده فهو رأسُ صومهم . ولصومهم ضابطٌ اصحُّ من هذا وهو ان يُنظَر الى الذبح (٢ وهو سادس كانون الثاني في اي شهر هو من الشهور العربيّة ثمّ يُنتقَل الى السابع والعشرين من الشهر الغربيّ الذي يليه من حين رؤية الهلال فان كان يوم الاثنين فهو رأسُ الصوم . وفِطرُهم ابداً يكون يوم الاحد الخمسين من هذا الصوم . وسبب تخصيصهم هذا الوقت بالصوم انّهم يعتقدون انّ البعث والقيامة تكون في مثل يوم الفصح وهو اليوم الذي قام فيه المسيح من قبره بزعمهم»

وقال شمس الدين الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨٠) عن اهل حماة انهم «يبطلون اوّل يوم صوم النصارى ويقولون قد طاموا يتاقّون الراهب» . فترى انّ عادة استقبال الراهب في اوّل اثنين الصوم قديمة وليست مخصوصة بلبنان

٢ احد الشعانين او عيد الزيتونة

قال ابو الفداء في تاريخه (١ : ٩٥–٩٦) : «ومن اعياد النصارى الشعانين الكبير وهو يوم الاحد الثاني والاربعون من الصوم وتفسير الشعانين التسبيح (٣ . لان المسيح

١) الاجتماع (Conjonction) عند اهل الهيئة كناية عن وقوع الشمس والقمر في نقطة واحدة من فلك البروج

٢) الذبح بالسريانية وهنا الظهور يراد به يوم عيد الناطس لظهور السيد المسيح فيه للعالم

٣) الشعانين لفظة مشتقة من هوشعنا العبرانية ويقال شعانين بالعين وهي الكلمة التي حيّا بها اهل اورشليم السيد المسيح يوم دخوله المدينة والهيكل ظافراً بعد ان اقام لعازر من الموت

دخل يوم الثمنية المذكور الى القدس راكبَ اتانٍ يتبعها جحشٌ. فاستقبلهُ الرجال والنساء والصبيان وبايديهم ورق الزيتون. وقرأوا بين يديهِ التوراة (١ الى ان دخل بيت المقدس واختفى عن اليهود يوم الاثنين والثلثاء. وغسل في يوم الاربعاء (٢ ايدي اصحابهِ وارجلهم ومسحها في ثيابهِ (٣ . وكذلك يفعلهُ القسيسون باصحابهم في هذا اليوم. ثمَّ أفصح يوم الخميس بالخبز والخمر »

وقال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨٠) : « عيد الزيتونة ويسمّونهُ الثمانين يعني التسبيح فيعملونهُ يوم الاحد سابع احد من صومهم . وطريقتهم فيهِ ان يخرجوا بسَعَف النخل من الكنيسة وهو يوم ركوب المسيح الحمارَ ودخولهِ صهيون ببيت المقدس يأمرُ بالمعروف ويَنهى عن المنكر والناس يستجون بين يديهِ لله »

وقال ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٩) : « تخرج النصارى في عيد الزيتونة في موضع يقال لهُ المَطَرِيَّة (٤ الى بئر هناك يسمّى بئر البلسم وهي معروفة مشهورة. فيجتمع اليها في ذلك اليوم في الغالب جمعٌ كثير من القبط وغيرهم من بلاد كثيرة يأتون اليها للغسل من مائها »

٣ الخميس الكبير او خميس العهد

قال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨١) راجع ايضاً صبح الاعشى للقلقشندي (٢ : ٤١٧) : « الخميس الكبير ويُدعى خميس المَدَس وهو خميس العهد يُعمَل قبل الفصح (كذا) بثلثة ايام وسمّيهم (وسمّيتهم) فيهِ ان يأخذوا اناء ويملأونهُ ماء ويزمزمون عليهِ ثمَّ يغسل بهِ البطريرك ارجل جميع النصارى الحاضرين . ويزعمون انَّ المسيح عليهِ السلام فعل هذا بتلاميذهِ في هذا اليوم يعلّمهم التواضع . واخذ عليهم العهد ان لا يفترقوا وان يتواضع بعضهم لبعض . والعامّة من النصارى يسمّون هذا الخميس خميس المَدَس وهم يطبخون فيهِ العدس على ألوان »

---

١) والصواب انَّ دخولهُ هذا في اورشليم مجدّداً كان بشّر بهِ الانبياء سابقاً في التوراة

٢) والصواب : يوم الخميس ٣) والصواب في المنديل الذي اتّزر بهِ

٤) قال ياقوت في معجم البلدان (٦ : ٥٦٤) : « المطريَّة من قرى مصر عندها الموضع الذي بهِ شجر البَلَسان الذي يُستخرَج منهُ الدهن (اي البلسم) فيها والخاصيَّة في البئر يُقال ان المسيح اغتسل فيها». وللمسيحيين الان هناك بستان وكنيسة مديمة يزورها السيّاح والحجّاج

وقال المقريزي في الخطط (١ : ٤٩٥) : «خميس العهد ويسميه اهل مصر من العامّة خميس العدس . ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلثة أيام ويتهادَوْن فيه . وكان من جملة رسوم الدولة الفاطميّة في خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهباً عشرة آلاف خرُّوبة وتفرقتها على جميع ارباب الرسوم»

وقال ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٥) عن خميس العدس : «ان نصارى مصر كانوا يستعملون العدَس المصفّى ويتحرَّونهُ في ذلك اليوم وكانوا يزعمون انَّ من لم يفعلهُ منهم تشوَّش هو واهلهُ . . (قال) : «ومن عاداتهم في ذلك اليوم خروج النساء لشراء البخور والخواتم وغيرهما فتجدهنَّ في ذلك اليوم في الاسواق اكثر من الرجال . . . ومما احدثوهُ فيه استعمال البخور لهنَّ ولغيرهنَّ من الرجال فيبخرون بهِ ثمَّ يتخطَّونهُ سبع مرّات . ثمَّ ينفضون عليه ايديهم وارجلهم ويتمرغون عليهِ ويزعمون انَّ ذلك يصرفُ عنهم العين والكسل والوعكة من الجسد ويتكلَّم من يَرْقي البخور بكلام لا يُعْرَف . . .» وهذه كما ترى من خرافات عامّة الاقباط

٤ ماء الخميس وجمعة الآلام

قال الطبري في تاريخه (١ : ٧٣٥—٧٣٦) : «حدَّث عبد الصمد بن معقل انهُ سمع وهباً (ابن المنبه) يقول ان عيسى بن مريم صلَّى الله عليهِ وسلَّم لمَّا اعلمهُ الله انهُ خارج من الدنيا جزع من الموت وشقَّ عليهِ فدعا الحواريين فصنع لهم طعاماً فقال : احضروني الليلة فانَّ لي اليكم حاجةً . فلما اجتمعوا اليهِ من الليل عشَّاهم وقام يخدمهم . فلمَّا فرغوا من الطعام اخذ يغسل ايديهم (١ ويرضّهم بيدهِ ويمسح ايديهم بثيابهِ (٢ فتعاظموا ذلك وتكارهوهُ فقال : ألا من ردَّ عليَّ شيئاً الليلة ممَّا اصنع فليس منّي ولا انا منهُ . فأقرُّوهُ (٣ حتى اذا فرغ من ذلك قال : أمَّا ما صنعتُ بكم الليلة ممَّا خدمتكم على الطعام وغسلتُ ايديكم بيدي فليكن لكم بي أسوةً . فانكم ترون أنّي خيرُكم . ولا يتعظَّم بعضكم على بعض وليذل بعضكم نفسهُ لبعض كما بذلتُ نفسي لكم . وامَّا حاجتي التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخّر

١) والصراب ارجلهم ٢) بالمنديل الذي كان متزرًا به
٣) قال هذا لبطرس لمَّا أنف من غسل يسوع لرجليه

أَجَلي (١ . فلما تعبوا انفسهم للدعاء وارادوا ان يجتهدوا اخذهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول : سبحان الله ما تصبرون لي ليلة واحدة (٢ تُعينوني فيها . فقالوا : والله ما ندري ما لنا . لقد كنّا نَسمر ونُكثر السَّمر وما نُطيق الليلةَ سمرًا وما نُريد دعاء إلّا حِيلَ بيننا وبينهُ . فقال : يُذهَبُ بالراعي وتتفرّق الغنم . وجعل يأتي بكلام مثل هذا ينعي بهِ نفسهُ

«ثمّ قال : الحقّ ليكفرنّ بي احدُكم قبل ان يصيح الديك ثلث مرّات وليبيعنّي احدكم بدراهم يسيرة وليأكلنّ ثمني . فخرجوا متفرّقين

«وكانت اليهود تطلبهُ فاخذوا شمعون احد الحواريين فقالوا : هذا من اصحابهِ فجحد وقال : ما انا بصاحبهِ فتركوهُ (٣ فلما أصبح (٤ اتى احد الحواريين الى اليهود فقال : ما تجعلون لي ان دَلَلتكم على المسيح . فجعلوا لهُ ثلثين درهماً فاخذها ودلّهم عليهِ وكان شُبّه عليهم قبل ذلك (٥

«فاخذوهُ فاستوثقوا منهُ وربطوهُ بالحبل فجعلوا يدونهُ ويقولون : انت كنت تحيي الموتى وتنتهر الشيطان وتبرئ المجنون أفلا تنتج (كذا) نفسك من الحبل . ويبصقون عليهِ ويلقون عليهِ الشوك (٧ حتى اتوا بهِ الخشبة التي اراد ان يصلبوه عليها فرفعهُ الله اليهِ وصلبوا ما شُبّه لهم انهُ توفّاهُ الله سبع ساعات من النهار (٨ ثم احياهُ الله . وفَقَدَ الذي كان باعهُ ودلّ عليهِ اليهودَ فسأل عنهُ اصحابَهُ فقالوا : قد ندم على ما صنع فاختنق وقتل نفسهُ فقال : لو تاب لتاب الله عليهِ (٩ واستوهبهُ يوسف

---

١) لم يطلب المسيح تأخير اجلهِ وانما اوصى ثلثةً من تلاميذهِ ان يسهروا معهُ ويصلّوا لئلاّ يدخلوا في التجربة ٢) بل ساعةً واحدة

٣) لم يأخذ اليهود سمعان بطرس وانما جحدهُ في دار قيافا صباح الجمعة

٤) والصواب : لمّا أمسى وأليل

٥) هذا ما يقولهُ المسلمون ولم يتّفقوا على كيفيّة هذا التشبيه ولا بمن شُبّه والنصارى مع اليهود ينكرون ذلك والشواهد على قتل المسيح لا تُحصى وكان بشّر بهِ دانيال والمسيحُ نفسهُ

٦) قالوا هذا وهو على الصليب : ان كنتَ ابن الله فانزل عن الصليب فنؤمن بك

٧) بل كلّلوهُ بالشوك

٨) بل بقي السيّد المسيح ميتاً من عصر يوم الجمعة الى صباح الاحد اذ قام بقوة لاهوتهِ من بين الاموات

٩) لم يحتج السيد المسيح الى السؤال عن يوداس واتجاههِ فكان هو نفسهُ اشار اليهِ بايتاً

النجار وهو ابن عمّ مريم امّ المسيح(١ من قائد اليهود هيرودس واسمهُ بيلاطس (٢ فدفنهُ في قبر اعدَّهُ لنفسهِ . وزعمت النصارى انهُ مكث في القبر ليلة السبت ونهار السبت وليلة الاحد ثمّ قام صبيحة يوم الاحد الذي يفطرون فيهِ . ويسمّون ليلة السبت بشارة الموتى بقدوم المسيح»

﴿وهذه رواية ابن خلدون﴾ في تاريخهِ (٢ : ١٤٧) قال: «شرّع المسيح الشرائع من الصلاة والصوم وسائر القُربات وحلّل وحرّم وأُنزل عليهِ الانجيل (٣ وظهرت على يديهِ الخوارق والعجائب وشاع ذكرهُ في النواحي واتّبعهُ الكثير من بني اسرائيل فخافهُ روساء اليهود على دينهم وتوامروا في قتلهِ . وجمع عيسى الحواريين فباتوا عندهُ ليلتين يطعمهم ويبالغ في خدمتهم بما استعظموهُ قال: انّما فعلتهُ لتتأسّوا بهِ . وقال بعظهم: ليكفرنّ بي بعضكم قبل ان يصيح الديك ثلاثاً (٤ ويبيعني بعضكم بثمن بخس وتأكلوا ثمني (٥ ثمّ افترقوا . وكان اليهود قد بعثوا العيون عليهم . فاخذوا شمعون من الحواريين فتبرّأ منهم وتركوهُ (٦

«وجاء يهوذا الاسخريوطي وبايعهم على الدلالة عليهِ بثلثين درهماً واراهم مكانهُ الذي كان يبيت فيه (٧ واصبحوا بهِ الى فلاطوس النبطي (٨ قائد قيصر على اليهود . وحضر جماعة الكهنوتيّة وقالوا : هذا يُفسد بيتنا (ديننا) ويحلّ ناموسنا ويدّعي المُلك فاقتُلهُ . وتوقّف فصاحوا بهِ وتوعّدوهُ بابلاغ الامر الى قيصر فأمر بقتلهِ . وكان عيسى قد ابلغ الحواريّين بانّهُ يُشبَّه على اليهود في شأنهِ وتُقتل ذلك الشبه وصُلب (٩

---

١) ليس يوسف النجّار هو الذي استوهب جسدهُ من بيلاطس بل يوسف الرامي ولا نعلم شيئاً من قرابتهِ الى مريم امّ يسوع

٢) كلّ يعلم ان بيلاطس كان والياً رومانياً على اليهود وامّا هيرودوس فكان ملكاً يهودياً على الجليل ٣) اي بشّر بهِ

٤) قال هذا لسمان بطرس ٥) هذا لم يقل بهِ السيد المسيح

٦) سبق اثم لم يأخذوا شمعون اي سمان بطرس وانما جحد ربّهُ ثم ندم على خطيئتهِ

٧) والصواب انهُ اتى بالجند الى بستان الزيتون حيث اسكوهُ وقادوهُ الى حانان ثم الى قيافا ٨) كذا والصواب البُنطي

٩) والامر على خلاف ذلك فانّ المسيح كرّر مراراً على تلاميذهِ انهُ سيُصلب ويُقتل ثمّ يقوم في اليوم الثالث كما تنبّأ عنهُ الانبياء. فايُّ حاجة الى شبهٍ يُقتل بدلاً منهُ ؟

واقام سبعاً (١ . وجاءت امهُ تبكي عند الخشبة (٢ فجاءها عيسى وقال: ما لكِ تبكي (تبكين) قالت: عليك (٣. قال: ان الله رفعني ولم يُصبني الا خير وهذا شيء شُبه لهم (٤ وقولي للحواريين يلقوني بمكان كذا . فانطلقوا اليهِ وامرهم بتبليغ رسالتهِ في النواحي كما عَيّن لهم من قبل»

﴿رواية ابن الاثير عن آلام المسيح﴾ قال ابن الاثير في الكامل (١ : ١٢٥) : «قيل انَّ عيسى استقبلهُ ناس من اليهود فلمَّا رأوه قالوا: قد جاء الساحر . وقذفوهُ هو وامهُ فسمع ذلك ودعا عليهم فاستجاب الله دعاءهُ ومسخهم خنازير (٥ . فلمَّا رأى ذلك رأسُ بني اسرائيل فزع وخاف وجمع كلمة اليهود على قتلهِ فاجتمعوا عليهِ فسألوهُ فقال: يا معشر اليهود انَّ الله يبغضكم . فغضبوا من مقالتهِ وثاروا اليهِ ليقتلوهُ . فبُعث اليهِ جبريل فادخلهُ في خوخةٍ الى بيتٍ فيها روزنةٌ في سقفها فرفعهُ الى السماء من تلك الروزنة . فامر رأسُ اليهود رجلاً من اصحابهِ اسمهُ تطليانوس(؟) ان يدخل اليهِ ليقتلهُ فلم يرَ احداً والقى الله عليهِ شبه المسيح فخرج اليهم فقتلوه عيسى وقتلوهُ وصلبوهُ(٦ . وقيل انَّ عيسى قال لاصحابهِ: أيكم يحب ان يُلقى عليهِ شبهي وهو مقتول؟ فقال رجل منهم انا يا روح الله فأُلقي عليهِ شبهه فقتل وصُلب وقيل انَّ رجل اسرائيلي اسمهُ يوشع ايضاً (٧»

ثمَّ يروي ابن الاثير بقيَّة اخبار المسيح كما رواها الطبري الَّا انهُ في اثناء كلامهِ كأنَّهُ ذمي ما روى سابقاً عن الشبيه بالمسيح فيقول:

«وقيل انَّ اليهود لمَّا دلَّهم عليهِ الحواري (اي يهوذا الاسخريوطي) اتبعوهُ واخذوهُ من البيت الذي كان فيهِ ليصلبوهُ فأظلمت الارض وارسل الله ملائكةً

---

١) اي اقام بيتاً ساعات ميتاً والصواب انهُ بقي ميتاً الى صباح الاحد حيث قام من الاموات

٢) ليس شيء في الاناجيل عن بكاء مريم وانما كانت واقفة عند صليبه

٣) هذه الرؤيا كانت لمريم المجدليَّة لا لمريم امّه

٤) كل هذا مخالف لرواية الاناجيل قالوهُ تنزيهاً لقيامتهِ

٥) هذا من خرافات بعض الاناجيل المزورة

٦) هذه رواياتٌ غاية في الغرابة تتعجَّب كيف يذكرها ابن الاثير مصدقاً

٧) وليست هذه الرواية أقلّ غرابةً من السابقة . وكلّ ذلك لينفي الموت عن المسيح وتُنفى قيامتهُ وهي اكبر آيات لاهوتهِ (راجع كتابنا) «البرهان الصريح في لاهوت المسيح»

فحالوا بينهم وبينهُ وألقى شبه المسيح على الذي دلّهم عليهِ فاخذوهُ ليصلبوهُ فقال: انا الذي دللتكم عليهِ فلم يلتفتوا اليهِ فقتلوهُ وصلبوهُ عليها ورفع الله المسيح اليهِ بعد ان توفاهُ الله ستّ ساعات وقيل سبع ساعات ثم احياهُ ورفعهُ »

اما ابو الفداء فقال في تاريخهِ (١ : ٩٦) : ومثلهُ ابن الوردي ناقلًا عنهُ (١ : ٨٠) : «ثمَّ خرج المسيح ليلة الجمعة الى الجبل فسعى بهِ يهوذا احد تلامذتهِ الى كبراء اليهود واخذ منهم ثلثين درهماً رشوةً ودلّهم عليهِ فألقى الله شبه المسيح على المذكور (١ فاخذوهُ وضربوهُ ووضعوا على رأسهِ اكليلًا من الشوك وألبسوهُ كل مكروه وعذّبوه بقيّة تلك الليلة اعني ليلة الجمعة الى ان اصبحوا فصلبوهُ بزعمهم انهُ المسيح على مضي ثلاث ساعات من يوم الجمعة على قول متى ومرقس ولوقا . واما يوحنا فانهُ زعم انهُ صُلب على مضي ستّ ساعات من النهار المذكور (٢ ويسمّى جمعة الصلبوت . وصُلب معهُ لصّان على جبل يقال لهُ الجمجمة واسمهُ بالعبرانيّة كاكله (والصواب الجلجلة) وماتوا على ما زعموا في الساعة التاسعة

قال المسعودي في كتاب التنبيه والاشراف (ص١٢٥) : « ولسبع عشرة سنة خلت من ملكهِ (اي من ملك طيباريوس قيصر) وفي السنة ٣٤٢ للاسكندر بن فيلبُّس الملك وهو عندهم منهُ (كذا) في مثل اليوم الذي أُهبط فيهِ آدم من الجنّة . ومات ودُفن وقام وانبعث من بين الموتى حيًّا »

٥ سبت النور

قال القلقشندي في صبح الاعشى (٢ : ٤١٧) والدمشقي في نخبة الدهر (ص٢٨١)

١) اي على جوذا الاسخريوطي وما أسهل ما كان عليهِ ان يثبت لليهود مرتبته بان يقول : لستُ انا المسيح ولا انا ابن الله كما هو يقول ولستُ ملكًا كما قال لبيلاطوس فقتلُ جوذا بدلًا من المسيح من اغرب الغرائب بعد ان سبق المسيح وكرّر غير مرّة لتلاميذه خبر قتلهِ صلبًا وقيامتهِ كما ورد في نبوّات اشعيا وارميا ودانيال وغيرهم (راجع آياتهم في المشرق ٧[١٩٠٤] : ٢٤٣-٢٤٤) ثم في كلامنا عن الوهيّة المسيح في موتهِ (١٦[١٩١٣] : ٨٦٤)

٢) ليس تناقض في رواية الانجيليين فانَّ متّى ومرقس ولوقا جعلوا موت المسيح على صليبهِ الساعة الثالثة بعد الظهر على مقتضى حساب البرانيين والشرقيين أمّا يوحنا فحسب النهار كالرومان واليونان فجعل صلبهُ الساعة السادسة اي في وقت الظهر وموتهُ في الساعة التاسعة وهي الثالثة لبني اسرائيل

صورة رؤساء كلية القديس يوسف

منذ انشائها الى اليوم

(١٨٧٥ – ١٩٢٥)

«هو قبل الفصح بيوم. يقولون انَّ النور يظهر من مقبرة المسيح في هذا اليوم فتشتعل منهُ مصابيح الكنيسة (القلقشندي: كنيسة القيامة (١ بالقدس) ويحملون نارهُ في الشموع الى بحر نيطش والى جزائر بلاد الفرنج»

وهنا يذكر في صبح الاعشى خدعة الروم في ايقاد تلك المصابيح. وقد فنَّدنا زعمهم سابقاً غير مرَّة واثبتنا اقرارهم بالتمويه على الشعب (المشرق ١٢ [١٩٠٩]: ١٩١–١٩٢ و ١٦ ٣١٦ ثمّ ١٦ [١٩١٣]: ١٨٨–١٩٧)

وقال ابن الحاج في المدخل (١: ٣١٦): «وممَّا يفعلونهُ في سحر ذلك اليوم (اي سبت النور) وهو انهم يجمعون في امسهِ ورق الشجر على انواعها حتى الريحان وغيره فيبيتونها في اناء فيهِ ماء ويغتسلون بهِ ثمَّ يأخذون ما اجتمع من غسلها ويلقونهُ في طريق المسلمين ومفرق الطريق ويزعمون انَّ ذلك يُذهب عنهُ الامراض والاسقام

«ومن ذلك اكتحالهم في صبيحة ذلك اليوم بالذَّاب او الكحل الاسود او غيرهما. ويزعمون انَّ من اكتحل من ذلك يكتسب نوراً زائداً في بصرهِ

«ومن ذلك انَّ من كان منهم يشتكي بحكَّة يخرج في ذلك اليوم الى ظاهر البلد على شاطئ النيل فيغتسل ... ويزعمون انَّ الغسل في ذلك اليوم نشرةٌ ورُقيةٌ. وتدَّهنُ نساؤهم بالكبريت ويقعدن في الشمس اكثر نهارهنَّ

«ومن ذلك ما يفعلونهُ من شرب الدواء في ذلك اليوم ويزعمون انَّ شرب الدواء فيهِ ليس كغيرهِ من الأيام تعظيماً لهُ»

٦ عيد الفِصح او القيامة

قال المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (٤: ٤٧): «عيد القيامة هو اليوم الذي يزعمون انَّ عيسى عليهِ السلام خرج من قبرهِ بعد ما قُتل ودُفِنَ

وقال القلقشندي في صبح الاعشى (٢: ٤١٥): «الفِصح وهو العيد الكبير عندهم يعملونهُ يوم الفِطر من صومهم الاكبر ويزعمون انَّ المسيح قام فيهِ بعد الصلوت بثلثة أيَّام وخلَّص آدم من الجحيم». وقال (١٣: ٢٧٢): «ثمَّ رآهُ بطرس الحواريّ واوصى اليهِ وانَّ امَّهُ جمعت لهُ الحواريين فبعثهم رُسُلاً الى الاقطار للدعاية الى دينهِ»

١) القيامة الربل. كذا ابدلوا اسم كنيسة القيامة تصحُّفاً

وقال شمس الدين الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨٠) : « عيد الفسح (كذا) وهو الكبير يقولون انَّ المسيح قام فيهِ بعد الموت والصَّلب بثلثةِ ايَّام وخلَّص آدم من الجحيم . واقام في الارض اربعين يوماً آخرُها يوم الخميس ثمَّ صعد الى السماء.

«وفي هذا العيد (اي الفصح) تُبطل اهل حماة مدَّة ستة ايَّام اوَّلها يوم الخميس الكبير وهو خميس العهد وآخرها يوم الثلثاء ثالث الفسح (الفصح) . وتنتقشُ فيهِ النساء وتلبس الكساوى الفاخرة ويصبغون فيهِ البيض ويعملون الاقراص والكعك والمسلمون اكثر من النصارى . ويَرِد الى حماة اهلُ سائر البلاد المجاورة لها مثل حمص وشَيْزَر وسَلَمْيَة وكفرطاب وابو قُبَيْس(١ ومِصياف والمَعَرَّة وتيزين والباب وبُزاعة والقوعة (٢ وحلب . ويطلعون جميعاً الى العاصي . ويضربون(ويضرب)لهم اهل حماة على شطوطهِ خياماً . ويركبون في المراكب بالمغاني ويرقصون في المراكب النساء والرجال على الشطوط حتى تتهتَّك الخلائق . ويمضي لهم ستة ايَّام لا يُرى في الوجود مثلُها »

وقال ابن الحاج في المدخل (١ : ٣٠٥) عن عاداتهم في الفصح : « ومن ذلك صبغُهم فيهِ البيض ألواناً لاولادهم وغيرهم وتعدَّى ذلك في الكثرة الى ان صار المقامرون يلعبون بهِ جهاراً ولا احد فيما اعلم ينكر عليهم »

٧ الاحد الجديد

ودعاهُ القلقشندي (٢ : ٤١٨) « حدّ الحدود» قال « وهو بعد الفصح بثمانية ايَّام يعملونهُ اوَّل احد بعد الفِطر . لأنَّ الآحاد قبلهُ مشغولة بالصوم وفيهِ يجدِّدون الآلات وأثاث البيوت . ومنهُ يأخذون في الاستعداد للمعاملات والامور الدينوية»

وقال المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (٤ : ٤٧) : «وبعده (اي بعد الفصح) بثمانية ايَّام عيد الجديد (كذا) ويزعمون انهُ اليوم الذي ظهر فيهِ عيسى لتلامذتهِ بعد ما خرج من القبر» (٣

---

١) ابو قُبَيس جبلٌ يقابل شيزر (ياقوت)

٢) تيزين قرية بنواحي حلب ومثلها الباب وبزاعة والقوعة قرى بين حلب ومنبج

٣) ظهر السيد المسيح لتلامذته يوم عيد الفصح . ثم عاد اليهم في الاحد الجديد ليثبت قيامتهُ لتوما الرسول

وقال ابو الفداء في تاريخه (١ : ٩٦) : ولهم الاحد الجديد وهو اوّل احد بعد الفطر ويجعلونهُ مبدأ للاعمال وتاريخاً للشروط والقبالات »

٨ عيد الصعود

قال المقدسي في كتاب البدء والتاريخ (٤ : ١٧) : وبعدهُ » اي بعد عيد الفصح بثمانية وثلثين يوماً عيد السُّلّاق (١ ويزعمون انهُ اليوم الذي صعد فيه عيسى الى السماء »

وقال القلقشندي في صبح الاعشى (٢ : ٤١٦) : «خميس الاربعين ويسميهِ الشاميُّون السُّلّاق وهو الثاني والاربعون (كذا) من الفِطْر يقولون انَّ المسيح عليهِ السلام تسلّق فيه من تلاميذهِ الى السماء بعد القيامة ووعدهم بارسال الفارقليط وهو روح القدس عندهم »

وقال ابو الفداء (١ : ٩٦) وابن الوردي (١ : ٨٠) : «ولهم (اي النصارى) عيد السُّلّاقا ويكون يوم الخميس (والصواب الخميس) بعد الفطر باربعين يوماً وفيهِ تسلّق المسيح فصعد الى السماء من طورسينا (٢

وقال المسعودي في التنبيه والاشراف (١ : ١٢٥) وصعد (اي المسيح) الى السماء ولهُ ثلث وثلثون سنة ولا يصعد عندهم الى السماء الّا من نزل منها (٣ . . والنصارى تصوم الاربعاء لانَّ يشوع وُلد فيها (كذا) والجمعة لانهُ صُلب فيهِ عندهم تطوُّعاً لا فريضةً »

قال الطبري (٧ : ٢٣٧) : «ثمَّ اهبطهُ الله (يريد المسيح) على الارض فاشتعل الجبل حين هبط نوراً فجُمع لهُ الحواريُّون فبثَّهم وامرهم ان يبلّغوا الناس عنهُ ما امرهم الله بهِ

«ثمَّ رفعهُ الله وكساهُ الريش (كذا) وألبسهُ النور وقطع عنهُ لذَّة المطعم والمشرب (كذا) وطار مع الملائكة فهو معهم (٤ فصار انسيّاً ملكيّاً سماويّاً ارضيّاً . وتفرَّق الحواريُّون حيث امرهم »

---

١) السُّلّاق كلمة سريانيَّة (ܣܘܠܩܐ) معناها الصعود

٢) والصواب : من طور زيتا اي من جبل الزيتون قرب اورشليم

٣) ورد هذا في انجيل يوحنّا (٣ : ١٣) ٤) بل هو فوقهم جميعاً

٩ عيد الخمسين اي العنصرة

قال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨١): عيد الخمسين وهو العنصرة يعملونهُ بعد خمسين يوماً من عيد القيامة يقولون انَّ الروح القدس حلَّت في التلاميذ شبه ألسنة نارية وتفرَّقت عليهم ألسنةُ الناس فتكلَّموا بجميع الالسنة وراح كلّ واحدٍ منهم الى بلاد لسانهِ الذي تكلَّم به يدعوهم الى دين المسيح »

وقال ابو الفداء في تاريخهِ (١ : ٦٩) : « عيد الفنطي قُسطي وهو يوم الاحد بعد السلّاقسا بعشرة أيّام واسمهُ مشتقّ من الخمسين بلسانهم (١ وفيهِ تجلّى المسيح لتلامذتهِ (٢ وهم السليحيُّون (٣ ثم تفرَّقت السنتهم وتوجَّهت كلّ فرقةٍ الى موضع لغتها »

هذا مجمل ما وجدناهُ في تآليف المسلمين وفيهِ كما ترى اشياء كثيرة موافقة للاناجيل والتاريخ ومنها غيرها ما لا يتَّفق معها نُقلت غالباً من اناجيل الزور التي وصفناها سابقاً في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ١٩٠)

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تابع)

الكاهن والاسقف

﴿ المسيو بيكه في رومية ﴾ لما وصل المسيو بيكه رومية نزل في قصر مجمع

---

١) اللفظة يونانية (πεντηκοστή) ومعناها الخمسون

٢) بل بالاحرى تجلّى الروح القدس الذي يُدعى ايضاً بالبارقليط المرسَل من ابيهِ السيد المسيح كما وعدهم فحلّ عليهم بشبه السنة نارية

٣) السليح كلمة سريانية معناها الرسول

٩ عيد الخمسين اي العنصرة

قال الدمشقي في نخبة الدهر (ص ٢٨١): عيد الخمسين وهو العنصرة يعملونهُ بعد خمسين يوماً من عيد القيامة يقولون انَّ الروح القدس حلَّت في التلاميذ شبه ألسنة نارية وتفرَّقت عليهم ألسنةُ الناس فتكلَّموا بجميع الالسنة وراح كلّ واحدٍ منهم الى بلاد لسانهِ الذي تكلَّم به يدعوهم الى دين المسيح »

وقال ابو الفداء في تاريخهِ (١ : ٦٩) : « عيد الفنطي قُسطي وهو يوم الاحد بعد السلّاقسا بعشرة أيّام واسمهُ مشتقّ من الخمسين بلسانهم (١ وفيهِ تجلّى المسيح لتلامذتهِ (٢ وهم السليحيُّون (٣ ثم تفرَّقت السنتهم وتوجَّهت كلّ فرقةٍ الى موضع لغتها »

هذا مجمل ما وجدناهُ في تآليف المسلمين وفيهِ كما ترى اشياء كثيرة موافقة للاناجيل والتاريخ ومنها غيرها ما لا يتَّفق معها نُقلت غالباً من اناجيل الزور التي وصفناها سابقاً في المشرق (١١ [١٩٠٨] : ١٩٠)

ترجمة

السيّد فرنسوا بيكه

لحضرة الاب بطرس ساره الراهب اللبناني (تابع)

الكاهن والاسقف

﴿ المسيو بيكه في رومية ﴾ لما وصل المسيو بيكه رومية نزل في قصر مجمع

---

١) اللفظة يونانية (πεντηκοστή) ومعناها الخمسون

٢) بل بالاحرى تجلّى الروح القدس الذي يُدعى ايضاً بالبارقليط المرسَل من ابيهِ السيد المسيح كما وعدهم فحلّ عليهم بشبه السنة نارية

٣) السليح كلمة سريانية معناها الرسول

انتشار الايمان حيث قدّموا له كل لوازم الضيافة وقد احتفى به كل الاحتفاء. كاتب اسرار المجمع وجميع رؤساء الدوائر والكهنة وبعد ان استراح من تعب السفر تشرّف بالتبرك بلثم اقدام قداسة البابا اسكندر السابع الذي استقبله بكل هشاشة وحبّ واكرام ذاكرًا له خدمه في جنب الكنيسة. ثم سأله عن احوال الديانة في البلاد المشرقية وعن الوسائل لنمو الايمان ورسوخه في القلوب. فبسط رجل الله لدى قداسته مفصّلاً كل ما سُئل عنهُ مما يختص بالحالة الحاضرة والوسائل اللازم اتخاذها لثبات المؤمنين. وكان قداسته يسمع له مرتاحاً الى حديثه مدة ثلاث ساعات. ثم ارسله بحسب العادة المألوفة الى المجمع ليطرح على بساط البحث كل ما يريد بسطه

وبينما هو في رومة اتاه من والده السيور جوفروا، الذي كان اعتنق الحالة الاكليريكية، كتاب فيه يعين له المجعول (البنفيش) الذي ذكرناه سابقاً غير انهُ لم يكن مرتاح الضمير والبال من جهة قبوله درجة قصّ الشعر من يد البطريرك اندراوس لانه اقدَمَ عليها من دون الاذن من اسقفه الشرعي فلزم ان يصحح هذا النقص في ٢٧ اذار سنة ١٦٦٢ بعد التماس الأذونية من اسقف ليون لانه من رعيته

ولما ثبتت عزيمته ورسخت قدمه في الحالة الاكليريكية تفرّغ الى تشرّب الروح الكهنوتي في تلك المدينة المقدسة وذلك بمجالسته ومعاشرته الاشخاص المتازين بتقواهم وعلمهم اذ كان يرتشد بكلامهم وامثلتهم. وقد تعلّق بالاخص بكاهنين فاضلين من اساتذة مدرسة البروغنده هما الاب باتريسيو (Patritio) الملفان في اللاهوت واستاذ الحق القانوني والاب فابريس بوليشي (Fabrice Pauluci) ودامت مواصلتهُ اياهما مدى الحياة. وكان كلاهما يعتبر جدًا فضيلة السيور بيكه ولا يخشيان ملاماً في قولهما انهُ قديس

ولما انفكّ رجل الله بيكه ان يُربي فيه شاعرة التقوى والعبادة مدة اقامته في رومية بزيارته الديامس حيث مدافن الشهداء وتردده الى جميع المحال المقدسة في داخل المدينة وفي خارجها. ثم قام بواجب الزيارة للكرادلة ولجميع حاشية البلاط البابوي الذين في مجالستهم اياه تحققوا بالفعل ما كانوا يسمعونه عنه. وتعرّف الى كثيرين من الاحبار ولم تكن غاية صداقته لهم الّا ليوصيهم بكنيسة حلب

وفي ٢٨ ايار حضر جلسة عقدها اعضاء المجمع المقدس بسط فيها كل ما عرضهُ

على البابا مما يختص باحتياجات ومهام كنائس الشرق. وقد امر نيافة الكردينال (Alberici) تلاوة الرسالة التي كتبها بطريرك السريان في حلب الى المجمع عن سفر المسيو بيكه كما ذكرت آنفاً فارتاح الكرادلة الى سماعها والى مطاليب بيكه في شأن تلك الكنائس ولاسيما كنيسة حلب

وبعد ان قام بهمته تزوّد ببركة الاب الاقدس الذي ودّعه كما استقبلهُ بالعطف والاكرام وانعم عليه بلقب حاجب بابوي فغادر رومة الى فرنسا في اول حزيران وزار في طريقه كنيسة سيدة لوريت بشعائر الخشوع والاحترام. كما زار سيدة اللانكة في آسيز وضريح القديس انطونيوس في بادوا

ووصل اخيراً ليون في اواخر السنة فاستقبله ابوه بما لا يمكن اللسان ان يصفهُ من عواطف الحب والفرح وهرع الى زيارته جميع اعيان المدينة وما كانوا يشبعون من رؤيته ومحادثته واكرامه معجبين بوطنيته وفضيلته

وما لبث طويلاً حتى ذهب الى استلام املاكه التي منها محمولهُ. ثم اتى مرسيليا لمجاورة بعض اصدقائه الذين مرّ بهم في حلب. ومنهم المسيو فرنسوا مازول (المسمى بابا) ومرضيته المسيو الذي توفي في ٢٠ ايلول ١٨٥٠ وكان بيكه كان يحبهم وهو ضرير ما تصل اليه يدهُ من المذكرات التي ساعدت كثيراً على تأليف ترجمته هذه

واذ كان في مرسيليا اتاه احد المسلمين ومعه ولداه كان قد وجّه بهم اليه من حلب خلفهُ المسيو بارون لانهم رغبوا ان يتنصّروا. وكان ذلك الرجل قد ضحّى بجميع امواله وبوظيفة كانت لهُ في جيش السلطان قام فيها نحو ٣٠ سنة فتخلّى عنها قصد ان ينضمّ الى دين يسوع المسيح. فتبناه بيكه باحشاء المحبة وسرّ بهِ كثيراً وهمّ في ان يعوّضهُ من كل ما تركهُ اكراماً ليسوع المسيح

﴿سيرة المسيو بيكه الصالحة في وطنهِ وقبرهُ الدرجات المقدّسة﴾ كان المسيو بيكه يكره العيشة العالية وفرضاءها فاعتزل عن مدينة ليون وسكن في البستان الذي قدّمهُ لهُ ابوهُ فعاش في الزهد والتقى. لكنّ عرف فضيلته زاد انتشاراً فقصدهُ ذوو الصلاح ليستفيدوا من تعاليمهِ وامثالهِ ومن جملتهم احد الكهنة الافاضل المدعو برشاردر الذي كان يزارهُ غيرةً وتُقى فقضيا الساعات الطوال في المناجيات الروحيّة

وكان اصدقاء المسيو بيكه يلحّون عليه بقبول الدرجات المقدسة فتردّد في الامر طويلًا وهو لا يرى نفسهُ اهلًا لها الى ان رضخ لمشورة مرشدهِ فسافر الى مرسيليسة واختلى مدّة في مدرستها الاكليريكيّة استعدادًا لتلك النعمة وفي ٢٢ك١ سنة ١٦٦٣ منحهُ مطران مرسيليسة السيد اسطفان بوجيت (Puget) الدرجات الصغرى مع الشدياقيّة الرسائليّة

وفي ٧ حزيران من السنة التالية اقتبل درجة الدياكونيّة اي الشماسيّة الانجيليّة وسيم كاهنًا في ١٣ من السنة نفسها. وهو في كلّ هذه المدة غائص في بحر التأمّلات يستعظم نعم الله اليه ويتفانى تذلّلًا وتواضعًا امام العزّة الالهيّة معلنًا بحقارتهِ ودناءتهِ. ولم يشأ ان يقدّم ذبيحتهُ الاولى الّا بعد ان خصّ لها اسبوعين مستحرًا بالصلاة ومنكبًّا على اعمال العبادة والتقشّف فاحتفل بالقدّاس الاوّل في ٢٦ تموز في كنيسة المدرسة الاكليريكيّة المذكورة. وفي الرسائل التي كتبها في تلك الآونة ادلّة باهرة على سموّ فضيلتهِ وعمق اتضاعهِ وشكرهِ للرب الذي دعاهُ الى تلك الدعوة الجليلة. وقد شهد معارفهُ انّ حياتهُ منذ ذاك الحين اصبحت اشبه بحياة ملاك منها بانسان

﴿اعتبار ارباب الدنيا والمدين لبيكه﴾ ومع انّ بيكه كان يكاد لا يرى لنفسهِ فضلًا كانت عيون رؤساء الكنيسة وارباب الدولة متّجهة اليهِ. فانّ كولبرت وزير الملك لويس الرابع عشر ارسل اليهِ يطلب مشورتهُ في احوال تركية التي كانت في اثناء ذلك طامعة بفتح بعض البلدان فتهدّدت مملكة النمسة فاستنجد امبراطورها بتلك فرنسة. فكتب بيكه في ذلك تقريرًا واسعًا بيّن فيهِ حقيقة الامور واوضح للوزير الخطّة التي يجب ان تجري عليها فرنسة مع النمسة لحفظ شرفها وصوناً لدين نصارى الشرق ونجاتهم من ظلم ولاة الاتراك واوضح في تقريرهِ بنودًا تُطالَب بها تركيّة في معاملاتها مع سفراء فرنسة وتجّارها لحفظ امتيازاتهم الممنوحة بمعاهدات سابقة

وممن استنار بانوار بيكه للوقوف على آرائهِ السديدة الكردينال شيجي (Chigi) ابن شقيق البابا اسكندر السابع وكان اتى الى فرنسة بصفة قاصد لدى الملك لويس الرابع عشر فاجتمع في مرسيلية ببيكه وابدى لهُ كل عطف وارتياح على مثال عمهِ الحبر الاعظم وانقاد الى آرائهِ في عدّة امور وأنالهُ ما طلبهُ بشأن رجل ارمني كان

اسيرًا في رومية فأطلق سراحهُ واعادهُ الى وطنهِ

والى الاب فرنسوا بيكه التجأ تجّار مرسيلية ليقنعوا على صحّة شكايات رفعها بعض الفرنسويين من حلب على المسيو بارون خلفهِ في القنصليَّة فازال تلك التُّهم وبيَّن براءة القنصل وحسن سياستهِ واثبت ان تلك المدَّعيات الباطلة لقوم من ذوي الغايات السافلة فأذعن اليهِ أولو الامر واثبتوا المسيو بارون في منصبهِ

على انَّ الملك لويس الرابع ووزيرهُ كانا يفضّلان رجوع بيكه الى حلب فطلباهُ الى باريس وفاوضهُ الوزير في الامر وكانت الدوقة داغويليون المحسنة اليهِ تؤيد رأي الوزير وتعدّد خدمات بيكه للدين والوطن معًا في مدَّة قنصليَّتهِ

امَّا بيكه فانَّهُ كان يجد في كهنوتهِ مانعاً من الرجوع الى ذلك المنصب الجليل لئلَّا يتلبَّك بامور العالم. لكنهُ لم يشأ ان يبتَّ الامر بنفسهِ بل رجع الى مرشده الاب باتريسيو وطلب اليهِ رأيهُ في رجوعه الى القنصليَّة وسألهُ ان يتخابر في ذلك مع اصحاب الصلاح والرَّي مصرّحاً عن استعدادهِ للانقياد الى مشورتهم وهو لا يطلب سوى [illegible] الدين. ثمَّ تأجل الامر وأمرهوا عن بيكه بعد ان برَّأ صديقهُ وثبَّت [illegible] من كل ما نسب اليهِ زورًا وابقاهُ في منصبهِ معزَّزًا ومكرَّمًا

﴿اهتمام الاب بيكه بكنائس الشرق﴾ لم يشأ الاب بيكه ان يصرف نظرهُ عن خدمة الشرقيين وهو بعيد عنهم فسعى الى جمع الحسنات لطوائف حلب ولمَّا التأم المجمع العام الذي عقدهُ الاكليروس الفرنساوي في ذلك الحين بسط امامهم ما كان عليهِ المسيحيون في حلب من الفقر المدقع فتوفَّق لجمع مساعدات وافرة ارسلها الى رؤسائهم وكذلك عُني بإسعاف المرسلين في بلاد الصين فأجيب الى طلبهِ

وكان في زمن اقامتهِ في ليون جاعلًا بيتهُ منزلًا للكهنة الغرباء الآتين من الشرق والمرسلين المارّين في وطنهِ وكانوا جميعهم يجدونهُ كريمًا مضيافاً يقوم بسائر حاجاتهم. وكثيرًا ما كانوا يلوذون بهِ ويلتمسون حمايتهُ لدى ارباب الدولة فيعضدهم بما لديهِ من النفوذ. ومن آثار غيرتهِ انَّهُ ساعد الاب قزما (Morizio Côme) احد كهنة الروم لجمع الصدقات في ليون وفي باريس ليفتح في الاسكندريَّة مدرسةً لطائفتهِ. ثمَّ اشار عليهِ ان يذهب الى رومية واوصى بهِ قداسة البابا والكردلة فلاقى منهم

كل عطف ورعاية لولا ان الظروف لم تسمح لهُ بتحقيق امانيه

ولـلاب بيكه تخلصةٌ اخرى جليلة قدّمها للكنائس الشرقيّـة بل للكنيسة الكاثوليكيّة جمعاء. وذلك انَّ احد دعاة البروتستانت وزعمائهم جان كلود (Jean Claude) كان ألّف كتاباً شحنهُ بالاضاليل المنافية للمعتقدات الكاثوليكيّـة. وخصوصاً لسرّ القربان الاقدس وادّعى في اثناء كلامهِ انَّ الكنائس الشرقيّـة تنفي وجود السيّد المسيح في هذا السرّ. فتصدّى لهُ بعض الكتبة وألّفوا كتاباً زيّفوا فيه تلك الاكاذيب دعوهُ الديمومة في الايمـان (Perpétuité de la Foi) كان متولّياً نشرهُ الجنسانيّ انطوان ارنود (A. Arnaud). فبلغ الخبر الاب بيكـه فكتب اليهِ من ليون في ٢٦ آب سنة ١٦٦٧ ما تعريبهُ:

« عرفتُ انك تهمّ في طبع كتاب جليل في الدفاع عن سر القربان ضد الاضاليل والاكاذيب التي شحنها الواعظ كلود كتابه ضد ثبات وديمومة الايمان بهـذا السرّ العظيم. فرأيتُ ان من واجباتي ان انبّهك الى ادّعاء الباطل في قوله ان المسيحيين الشرقيين لايعتقدون حقيقة وجود المسيح في القربان وذلك كذب وبهتان لانه من المؤكد الثـابت ان جميع مسيحيي الشرق حتى الفراطقة منهم المعتضين ضد الكنيسة الرومانية يعتقدون كحقيقة ايمانيةٍ وجود يسوع المسيح في الافخارستية واستحالة الخبز والخمر الى جسده ودمه الاطهرين على اثر كلام التقديس حالاً. فاني اقمتُ بين اظهرهم تسع سنين ودارت بيني وبينهم المجادلات المتنوعة وكثيراً ما دخلتُ كنائسهم ورأيت فيها سرّ القربان مصنوعاً ومعبوداً ومكرماً تحت شكلي الخبز والخمر يسجدون لهُ سجودهم لله نفسه. واذا اراد خصمنا شهادات مكتوبة اتيتهُ بها عديدةً من جميع بطاركة الطوائف من روم وارمن وسريان ويعـاقبة ونـاطرة ومن الاقباط الذين يعتقـدون الحقيقة عينها. وكانت اعظم مذمّة عندهم لبعض الافرنسيين الكلوبيين ان ينتموا باسمهم جاحدون تلك العقيدة الثابتة واني آمل ان تأتي هذه الشهادات طبق مرادك ومراد السادة معاونيـك في ابراز تأليف هام للكنيسة، فانتي لهُ رواجاً عند جميع المسيحيين وفوزاً واتصاراً للحق على الباطل ». . .

ولما وقف المسيو ارنود(١ وهو من عمدة ذلك المؤلف الجليل، على اقتراح المسيو بيكه بعد ان كان عرف مكانته وشهرته في البلاد الشرقية اتخذها فرصة سانحة

١) انطوان ارنود أحدُ اللافوتيين الجانسنيين ولد في باريس ١٦١٢ وتوفي في بروكسل. اورد رسالة بيكه الاولى في كتابه الخامس الذي فيه الى بالادلّة الصريحة على اتفاق الكنائس الشرقية مع الكنيسة اللاتينية في حقيقة سرّ الافخارستية

بها طلب منه ان يأتيهُ بكتابات من اولئك البطاركة تثبت معتقدهم في سر الافخارستية فكتب حالًا الى بطاركة حلب واتاه منهم ثلاث شهادات على احسن صورة: الاولى من بطريرك الارمن بتوقيع ثلاثة اساقفة وكثير من وجهاء وكهنة طائفته، والثانية من الطائفة السريانية بتوقيع البطريرك اندراوس واهمّ خورانة حلب وكهنتها والثالثة من نائب بطريرك الروم العام لغيب البطريرك نفسه. وبهذه الشهادات اقرار صريح ان تعليمهم كتعليم الكنيسة الرومانية نفسه في الافخارستية. فارسل المسيو بيكه تلك الشهادات الى طالبها مع رسالة بتاريخ ١٧ آب سنة ١٦٦٨ فيها يبيّن صفات موقعيها والاسباب التي منعت بعض البطاركة من التوقيع بانفسهم وألمع بالاخصّ الى ان مقدّمي تلك الشهادات وان كان بعضهم من خصوم الكنيسة الكاثوليكية والمنفصلين عنها فهم على اتفاق تام معها في حقيقة سر القربان

فكان المسيو ارنود مقتنعاً بتلك الشهادات وقد ذكر في الكتاب ١٢ من مؤلفه رسالة بيكه مع الشهادات كلها (راجع الديرمة في الايمان ك٥ صفحة ٥٤٩ وك١٢ صفحة ٨٢) ونُسخ تلك الشهادات محفوظة في مكتبة سان جرمان في باريس اثرًا حيًا يشهد بغيرة المسيو بيكه وبصدق معتقد الكنيسة الشرقية واتفاقها مع الكنيسة الغربية في تلك الحقيقة الجوهرية

وهو ايضاً الذي سعى الى إلغاء كتاب آخر باسم رجل يدعى انستاس ضمّنهُ القدح بتعاليم الكنيسة الرومانية فتمكّن من جمع نسخهِ وملاشاتها فوق كثيرين من البطاركة السقوط في اشراك المبتدعين

﴿ مرض الاب بيكه ووفاة والده ﴾ وكان بيكه مع مخافة جسمهِ ينكبُّ على الاشغال المختلفة بنشاط عظيم لم يكترث لما يتهدّدهُ من انتهاك القوى ففي السنة ١٦٦٦ اعترتهُ حمّى خبيثة لازمتهُ نحو سنة كاملة وهو يواصل اشغالهُ بحزم عجيب لاسيما خدمتهُ لراهبات الزيارة اللواتي كنَّ اتخذنهُ كمرشد لهنَّ يلقي عليهنَّ العظات في اوقاتٍ معيَّنة ويُعنى بتدبيرهنَّ الروحي فقضى بخدمتهنَّ اربع سنوات

وكثيرًا ما كان الاب بيكه يذهل عن امورهِ الشخصيَّة ليهتمّ بوالدهِ الجليل الذي كان اربى على الثمانين فكان لا يدّخر وسعاً في خدمتهِ وبالخصوص لما رآهُ قد ادركتهُ العلل في اواخر سني حياتهِ فقام بجميع ما تقتضيهِ واجبات أبرّ الابناء نحو

والده حتى آخر انفاسه وتعزّى بان رآهُ مسلماً الروح بين ذراعيه مزوّداً بجميع اسرار البيعة مبدياً من عواطف التقى ما يدلُّ على رسوخهِ في الفضيلة وقدّم لراحة نفسهِ الصلوات الحارّة والذبائح الطاهرة

﴿ عيشتهُ الكنسيّة ﴾ ثمَّ عُني بامر شقيقتهِ فتنزّل لها عن معظم ارث ابيهِ وقرنها بسرّ الزواج باحد وجهاء مدينة ليون وفضلائها السيو دي لاشنبر . واذ رأى نفسهُ مُعتقاً من هموم الدنيا انحاز الى مدرسة القديس ايريناوس الاكليريكيّة فقضى فيها سنةً تفرّغ في مدّتها للصلاة والدرس طالباً الى الله ان يلهمهُ الطريقة التي يريد ان يسلكها لخدمتهِ تعالى وخلاص القريب . ثمَّ رأى في شوارع ليون وطنهِ عدداً عديداً من الفقراء والعمّال منهمكين في امور دنياهم لا يكادون يفكّرون في شؤون نفوسهم فاخذ يجمع صغارهم فيلقّنهم مبادئ الدين ويعلّمهم الصلوات ويتصدّق الى اهلهم بما بقي لهُ من مجعول ابيهِ ويدعوهم الى حضور الرتب الكنسيّة واستماع المواعظ وكثيراً ما كان يلقي عليهم الارشادات التقويّة فارتدَّ كثيرون منهم الى التوبة عن يدهِ

ومن اعمالهِ المبرورة انّهُ زيّن كنيسة رعيّتهِ بالآنية الثمينة واقام بقربها داراً لسكنى الكهنة وخدّام الكنيسة وجعل بيتهُ موئلاً للتعساء ومستشفى للمرضى وملجأً للفتيات اللواتي انتدب لتعليمهنَّ احدى السيّدات . واذ رآها متوانيةً في مهنتها حوّل المدرسة الى مأوًى لاعانة الفقراء . وكان في كل تصرّفه مثال الوداعة واللطف صابراً على الاهانات والشتائم محسناً الى اعدائهِ ومبغضيهِ

وقد امتحنهُ الله في تلك الغضون ببلايا شتى تلقّاها من يد الله بالصبر الجميل لاسيما اذ بلغهُ انَّ رأس مالهِ الذي تركهُ في حلب عند تنزّلهِ عن القنصليّة فُقد تماماً بسوء معاملة تجّارها فتحمّل ذلك دون تذمّر راضياً بأحكام الله

واستاء خصوصاً مما اخبروهُ عن احد الكهنة الشرقيين المسمّى نعمة الله راشد فانهُ اذ كان متوجّهاً الى فرنسة وقع اسيراً في ايدي القرصان فبذل الاب بيكه غاية المجهود لينقذهُ من هذه المحنة الى ان تمكّن من جمع ثلثمائة ليرة من اصحابه اضاف اليها ٧٠٠ اخرى من ماله الخاص فافتداهُ من اسرهِ . فقدم الكاهن الى ليون ليشكر المحسن اليه . فانزلهُ بيكه في بيتهِ شهراً كاملاً ثمَّ ارسلهُ الى رومية ليشكر المجمع

المقدّس ثمّ يعود الى حلب ليشتغل فيها في خير مواطنيه وردّ الضالّين منهم الى حجر الكنيسة

فكانت اعمالهُ هذه تزيد اعتبارهُ في قلوب جلّة الاكليروس وسألهُ السيد غريغوريوس امين سرّ الكردينال ريشليو ان يتتلمذ لهُ ويسترشدهُ لامره فعاشا زمناً عيشة النسّاك يتسابقان الى مراس اسمى الفضائل الكهنوتيّة

﴿الاب بيكه ورسالة اليسوعيين في العجم﴾ ذاع في الشرق خبر اهتمام بيكه بالرسالات الكاثوليكيّة ومساعيهِ في إسعافها وكان لليسوعيين رسالة في العجم ردُّوا فيها الى الكنيسة كثيرين من اهلها الارمن الغريغوريين . فاخذوا يكاتبون الاب بيكه يوصونهُ بامورهم ويطلبون مساعدتهُ لسدّ حاجاتهم . وفي ترجمة الاب بيكه رسالة من رئيس دير اصبهان الاب مرسيه (P. Mercier) الى بيكه في السنة ١٦٧٣ يثني فيها على غيرة كاهن ارمني مولود حلب يدعى «ثيـديك» كان تخرّج في مدرسة انتشار الايمان في رومية فارسلهُ المجمع المقدس الى العجم ليساعد المرسلين في خدمة الارمن غريغوريين فردّوا منهم عدداً وافراً دل اقترابهم لبطريركهم صحّة المعتقدات الكاثوليكية فاجتذبوهُ الى الايمان واقنعوهُ بالذهاب الى رومية في صحبة بعض الاساقفة لاداء الطاعة للحبر الاعظم . فطلب الاب مرسيه مساعدة بيكه لتسهيل سفر البطريرك لئلّا يستاء من غيابهِ شاه العجم ويرجوهُ ان يتوسّط لدى ملك فرنسة في باريس والحبر الاعظم في رومية كي يكاتبا ملك العجم في امر هذا البطريرك وينالا رضاهُ في سفر البطريرك المذكور

فتلقّى بيكه هذه الاخبار بل المسرّة ثمّ اخذ يسعى لهذا الامر الخطير لدى اصحابهِ في رومية وفي باريس ليطلعهم على ما اخبرهُ بهِ المرسلون وبعد التروّي في الامر اتّفق مع المجمع المقدّس على مكاتبة البطريرك وتحريضهِ على البقاء في بلادهِ بين شعبهِ ليجذبهم بكلامهِ ومثالهِ الى الانضمام الى الكنيسة الكاثوليكيّة ونبذ اضاليل الارمن الغريغوريين وهو يعدهُ بخدمتهِ وبالنظر في شؤونهِ

وممّا فكّروا فيهِ وقتئذٍ ان تُفتتح في رومية مدرسة خصوصيّة للارمن يتخرّج فيها نخبة من اولادهم حتى اذا اتقنوا فيها العلوم يرسلوا كهنةً يعودون الى اوطانهم ويشتغلون بارتداد اهلها الى كنيسة رومية امّ الكنائس

على انَّ هذه المدارس لو أُنشئت في بلاد الغرب لكانت معرَّضة لمشاكل مختلفة لبُعدها عن مواطن الارمن وقد خشي بيكه من ان تكون ايضاً تلك المدارس هدفاً لاضطهاد يثيره غير المؤمنين او المراطقة او تُفتح مدة يسيرة ثم تبطل لخلوها من المساعدات المالية كما حدث لمدرسة تفليس التي انشأها الآباء الكبوشيون باغراء احد افاضل الفرنسويين السيد غرولت (Grelot) فسقطت بعد حين اذ لم تعضدها صدقات المحسنين. ومن ثم تأجل فتح تلك المدرسة

﴿بيكه وبطريرك الكلدان﴾ وممَّن التجأوا الى عناية بيكه في ليون سنة ١٦٧٢ الكلدان الكاثوليك المقيمون في ديار بكر فانَّ المرسلين الكبوشيين فيها توفقوا الى هداية كثيرين من النساطرة الذين جاهروا بايمانهم وادَّوا الطاعة للحبر الاعظم وكان في مقدمتهم رئيس اساقفة آمد يوسف الذي جحد البدعة النسطورية وكره اضاليلها واخذ يحضُّ ابناء ملَّته على اتباع مثله والخضوع للكرسي الرسولي ومواظبة الاسرار فبلغ امره بطريرك النساطرة الياً الثامن في الموصل فاسرع وقدم ديار بكر واخذ يفرغ كنانة جهده ليردَّ المتكثلكين الى النسطورية فلم يُفلح لا بالوعد ولا بالوعيد فاخذ يضطهدهم ولاسيما مطرانهم ورسولهم يوسف فعرَّضه لضروب المحن والمصادرات وسلَّمه الى ولاة الدولة مثيراً لغضبهم بالرشوة فزجُّوه بالسجن واذاقوه امرَّ العذابات لكنَّه ثبت في ايمانه. وقد نشرت مجلة المشرق (١٩[١٩٢١]: ١٢٤—١٣٨) ترجمة العجيبة لتلميذه باسيليوس عبد الاحد مطران آمد نحيل القرَّاء الى مراجعتها فيتحققون ما كان الكاثوليك يقاسونه في ذلك الزمان من اصناف العذاب في سبيل ايمانهم.

ثم تمكَّن هؤلاء المتكثلكون من اظهار صحة معتقدهم امام الدولة واختاروا لهم باذن الخبز الروماني يوسف رئيس اساقفتهم بطريركاً وهو الذي عُرف بيوسف الاوَّل. واخذوا يسعون في طلب تصديق السلطان انتخابه والاعتراف به بطريركاً مستقلاً بقرمان شاهاني. غير انَّ النفقة على هذا التقرير وقفت عقبة في سبيلهم فلجأوا الى الاب بيكه وسألوه ان يطلب لهم المساعدة من فرنسة ليفوزوا بمرادهم. فكتب رغم الضائقة المالية التي اصابت فرنسة على اثر حروب لويس الرابع عشر مع دول اوربة (١٦٧٣—١٦٧٨) يستدني اكفَّ اهل الخير والاحسان وسأل ايضاً المساعدة

من البروبوغندا فجمع اكثر من مائتي ليرة واودعها عند الرهبان الكبوشيين في الاستانة لاستخراج الفرمان السلطاني

وفي اثناء ذلك اتى يوسف الاول الى رومية ليخابر الحبر الاعظم في امر طائفته فارسل الاب بيكه الى اصحابه هناك يوصيهم بذلك الرجل الشهم ويطرى سموّ فضيلته وثباته في الايمان . وألحّ في إنالته مطلوبه ليرجع سريعاً الى كرسيّه لئلّا يحصل بتأخره ضررٌ لطائفته المرتدّة حديثاً . وكتب الى البطريرك يشجعه ويوطد رجاءه بادراك امانيه . واذ لم يكن مجموع المساعدات لطلب الفرمان كافياً لم يزل الاب بيكه يستنفد الوسع حتى جمع المبلغ اللازم وهو لم يقلّ عن الف وثمانمائة ليرة وحظي بالفرمان فجلس يوسف بالفخر والامان على كرسيّه في آمد واتى من الاعمال الشريفة ما ورد في سيرته السابق ذكرها وعاينها الاب بيكه عند مروره في ديار بكر كما سنذكره في وصف رحلته الى العجم

﴿انتداب الكرسي الرسولي للاب بيكه بصفة نائب رسولي للشرق﴾ انّ كل المساعي الطيبة والمآثر الجليلة التي كان يأتي بها الاب بيكه في سبيل الديانة والكنائس الشرقيّة كانت تستوقف ابصار المجمع المقدس وتدفعه الى انتدابه كنائب رسولي في جهات الشرق

واوّل ما حدا به الى تحقيق نيّته هذه انّه رأى السيد المسمّى بلاسيد لويس دو شمان (Placide Louis du Chemin) الذي كان سيم مطراناً على بغداد قد تأخر عن السفر الى مركزه لاسباب شتى فأضحى غيابهُ عن كنيسته خطراً مجحفاً بمصالح الدين . ففكّر في تقليد النيابة عنه الاب بيكه باشارة سفير الكرسي الرسولي في باريس وكاد يخرج فكرهُ هذا الى حيز الوجود لولا تشيّع رجل الله من قبول كلّ منصب شريف في الكنيسة فلم يشأ رؤساء الكنيسة ان يرغموهُ على الامر فانتظروا فرصة أخرى لإدراك غايتهم وهم يعلمون حقّ العلم مقدرتهُ في تدبير شؤون الطوائف الكاثوليكيّة في الشرق مع معرفته للغات الشرقيين ونفوذه عندهم

وظنّ الاب بيكه انّهُ اذا تفرّغ في وطنه للاعمال الرسوليّة يتملّص من المناصب الجليلة وشرف الاسقفيّة فانتظم في سلك بعض الكهنة الذين كانوا يطوفون المدن والقرى للإنذار والوعظ وتوزيع الاسرار فنال بينهم شهرةً عظيمة ببلاغته الغريزيّة

وخصوصاً بفضائله السامية التي كانت تحببهُ الى الجموع

وتولّى في الوقت ذاته اجابةً الى دعوة استقفهِ الرئاسةَ على دير كبير للراهبات. فاتخذ لتدبيرهنَّ كلّ الوسائل الآئلة الى تقديس نفوسهنَّ والقيام بكل واجبات دعوتهنَّ فنمَّ بعد قليل عبير فضائلهنَّ فزدنَ عدداً وفضلاً إلّا انَّ الاب بيكه لم يسلم في عملهِ هذا من معاكسة بعض الاشخاص الذين جاهروهُ بالعداوة وقذفوهُ بالشتائم فصبر على تُهَمهم وسوء معاملتهم مدّة نحو خمس سنوات كان فيها رئيساً على ذلك الدير

ولمّا كانت السنة ١٦٧٥ رأى المجمع المقدّس في رومية انَّ تعيين الاب بيكه للنيابة الرسوليّة في ما بين النهرين اصبح امرًا لازباً فاتاهُ الامر بالطاعة الى ارادة الله وقبول النيابة المنوّية وذلك ببراءة رسوليّة مؤرخة في ١٥ ك٢ من السنة ١٦٧٥ . وتعيّن لهُ في غاية تموز من السنة كرسيُّ سيزاروبوليس في مقدونية فأُطلق عليهِ اسمها شرفاً مع راتب يبلغ ٣٠٠ ريال روماني

فلم يرَ بيكه بدًّا من التسليم الى مشيئة الله مع نفورهِ من الوظائف جاعلاً كلّ ثقتهِ بذلك الذي يقوّي الضعفاء ويغني المساكين فيذلّل امامهُ ما ينتظرهُ في سبيلهِ من العقبات وضروب المشاكل واخذ يستعدّ لقبول الدرجة الاسقفيّة منتظرًا اوامر رومية لتعيين زمن سفرهِ .

الّا انّ ما جرى في تلك الاثناء من الحوادث سنة ١٦٧٦ في رومية بموت البابا اقليمس العاشر وانتخاب خلفهِ اينوشنسيوس الحادي عشر مع المشاكل التي وقعت بين الكرسي الرسولي والملك لويس الرابع عشر صرفت نظر المجمع المقدّس عن سفر بيكه فبقي مرتاباً لايعرف ما ينبغي عليهِ فعلهُ حتى اختار لهُ احدُ الآباء الكبوشيين الاب فرنسيس دي ڤورياس (Fr. de Vaureas) الذي رضي ان يرافقهُ الى ما بين النهرين وارسلهُ الى رومية ليستطلع الامور ويفيدهُ عن نيّات الحبر الاعظم . فدخل هذا الراهب على ارباب الدولة البابويّة ثم تمكّن من مواجهة إمام الاحبار فكانوا كلّهم لساناً واحداً في الثناء على بيكه وتقدّموا اليهِ بالسفر الى بغداد بعد سيامتهِ اسقفاً

فسُرَّ بيكه بهذا الجواب الصريح وقضى السنة ١٦٧٧ في تدبير كلّ امورهِ فتنزّل عن كلّ حقوقهِ في مجمول وظيفتهِ ووزّع على الفقراء والمحتاجين ما بقي في

يده من وراثة والده . وفي ١٦ ايلول من السنة ١٦٧٧ اقبل في مدينة إكس من ايدي رئيس اساقفتها الكردينال غريمالدي الدرجة الاسقفيَّة في حفلة نهاية في الرونق حضرها كثيرون من اعيان الدولة ورجوه الاكليروس واعرب هو فيها عن تواضعه واستعداده لبذل النفس والنفيس في خدمة الكنيسة . وكان عمره وقتئذٍ بالغاً السنة الثانية والخمسين

فلم يبقَ له في وطنه ما يعيقهُ عن السفر إلَّا انتظارهُ لتجهيز السفينة التي كان تقرَّر ان يركبها والتي تأخرت الى ربيع السنة ١٦٧٨ وكأنَّ تأخرهُ هذا وقع بعناية خاصَّة من الله ليحضر وفاة شقيقته زوجة المسيودي لاشمبر . فكان وجوده في فرنسة مرهماً لأوجاع قرينها . ومع اسفه الشديد على فقدها ازيد حبه لها نسي حزنهُ ليعزّي زوجها ويلهمهُ صبراً جميلاً على موتها

(التتمَّة لعدد آخر)

المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما

١٥٢٤ـ١٩٢٤

للاب جبرائيل لوقاك اليسوعي

ان التاريخ قد نظم منذ القرن السادس عشر ثلاثي فاسكو دي غاما في عداد كبار المكتشفين مع كريستوف كولمبوس وماجلان (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣١٦ـ ٣١٨) فهم الثلة النوابغ الذين بفضلهم انفتحت طرق البحار ومهَّدوا سبل المعاملات بين اقاصي العالم واوربَّة فاتى عملهم بتفاعيل ذات شأن لم يُفنها الزمان.

فلمَّا توفَّق دي غاما الى فتح طريق جديدة الى الهند مارَّة جنوبي افريقية دائرة حولها خوَّل لوطنه كنوزاً ثمينة ربحها بالتجارة مع اقاصي الشرق فبلغ خصباً ورقياً لم ينلهما غيره . وفي الوقت ذاته ضرب ضربةً أليمة على تجارة البنادقة ودولة المماليك في

يده من وراثة والده . وفي ١٦ ايلول من السنة ١٦٧٧ اقبل في مدينة إكس من ايدي رئيس اساقفتها الكردينال غريمالدي الدرجة الاسقفيَّة في حفلة نهاية في الرونق حضرها كثيرون من اعيان الدولة ورجوه الاكليروس واعرب هو فيها عن تواضعه واستعداده لبذل النفس والنفيس في خدمة الكنيسة . وكان عمره وقتئذٍ بالغاً السنة الثانية والخمسين

فلم يبقَ له في وطنه ما يعيقهُ عن السفر إلَّا انتظارهُ لتجهيز السفينة التي كان تقرَّر ان يركبها والتي تأخرت الى ربيع السنة ١٦٧٨ وكأنَّ تأخرهُ هذا وقع بعناية خاصَّة من الله ليحضر وفاة شقيقته زوجة المسيودي لاشمبر . فكان وجوده في فرنسة مرهماً لأوجاع قرينها . ومع اسفه الشديد على فقدها ازيد حبه لها نسي حزنهُ ليعزّي زوجها ويلهمهُ صبراً جميلاً على موتها

(التتمَّة لعدد آخر)

المئة الرابعة لوفاة فاسكو دي غاما

١٥٢٤ـ١٩٢٤

للاب جبرائيل لوقاك اليسوعي

ان التاريخ قد نظم منذ القرن السادس عشر ثلاثي فاسكو دي غاما في عداد كبار المكتشفين مع كريستوف كولمبوس وماجلان (اطلب المشرق ١٩ [١٩٢١] : ٣١٦ـ ٣١٨) فهم الثلة النوابغ الذين بفضلهم انفتحت طرق البحار ومهَّدوا سبل المعاملات بين اقاصي العالم واوربَّة فاتى عملهم بتفاعيل ذات شأن لم يُفنها الزمان.

فلمَّا توفَّق دي غاما الى فتح طريق جديدة الى الهند مارَّة جنوبي افريقية دائرة حولها خوَّل لوطنه كنوزاً ثمينة ربحها بالتجارة مع اقاصي الشرق فبلغ خصباً ورقياً لم ينلهما غيره . وفي الوقت ذاته ضرب ضربةً أليمة على تجارة البنادقة ودولة المماليك في

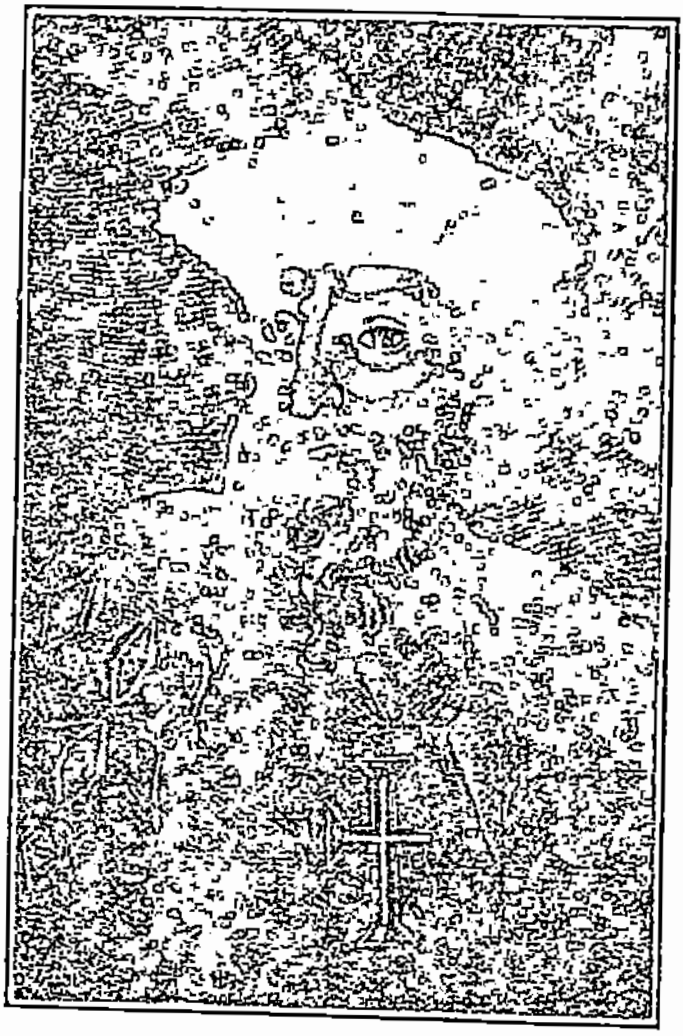

فاسكو دي غاما

منقول عن صورته الاصلية التي نشرتها مجلة الجرنال الجغرافي الانكليزية

مصر فكان المصريون يقطعون البحر الاحمر بالسفن العربيّة ويتنفذون منهُ الى الهند فينقلون ثروتها الى بلادهم فيبتاعها البنادقة باسعار متهاودة ويأتون بها الى اوربّة فيبيعونها بأثمان غالية رابحين . فوجود رأس الرجاء الصالح كسر في عضد المتاجرين بالبحر الاحمر ولم يزل هذا الممرّ كاسدًا الى ان فُتحت ترعة السويس سنة ١٨٦٩ فرجعت الحركة الى الهند على طريق مصر

والمجد في هذا الانقلاب يعود لفاسكو دي غاما لمروره قبل سواه حول افريقية الجنوبيّة . ولذلك ارادت دولة البرتغال ان تقيم الحفلات الباهرة في ١٩٢٤ كانون الاوّل من السنة السابقة ١٩٢٤ كما مجّدت شاعرها كاموئنس (Luiz Camoens) في السنة ذاتها وهو الذي نظم في أنشودته الشهيرة المعروفة باللوسياد (Lusiades) مفاخر فاسكو دي غاما . ففي ذلك اليوم احتشدت جماهير الشعب عند مشهدهِ الذي اقامهُ ذكرًا لهُ الملك مانويل الاوّل في ليشبونة . وجرى هناك مهرجان عظيم اطرأوا فيهِ مآثر دي غاما ثمَّ دشّنوا اثرًا آخر على طراز هندسي بديع وضعوا حجرهُ الاوّل عند المرفأ الذي ركب منهُ ذاك المكتشف سفينتهُ التي قطع بها لاوّل مرّة طريق رأس الرجاء الصالح

وقد قسمنا هذه النبذة قسمين نروي في اوّلها قصة اكتشاف طريق الهند ونصف في الثاني اخلاق المكتشف والفوائد التي نجمت عن اكتشافهِ

١ اكتشاف طريق الهند بحرًا

لا تُعرف تمامًا سنة مولد فاسكو دي غاما قيل انهُ ولد سنة ١٤٦٩ في مدينة بحريّة تدعى سينس وقيل في سنة اخرى وكانت اسرتهُ من اشراف بلاد البرتغال . فقضى شبابهُ في خدمة وطنهِ بصفة ضابط بحري في سواحل افريقية الشماليّة . وكانت البرتغال في ذلك العهد تجاري اسبانية في السيادة على البحر . فامتاز فاسكو بحذقهِ في السياسة البحريّة

وكان وقتئذٍ يملك على البرتغال ملك واسع المدارك يوحنا الثاني يطلب لوطنهِ املاكًا جديدة ليزيدها ثروةً ومجدًا . وكان يرى بازاء دولتهِ ممالك افريقية والبحار تكتنفها شرقًا وغربًا فيتساءل عمَّا اذا يمكن ان تبلغ سفنهُ الى اقصى جنوبها فتدور

حولها فتصعد حتى تبلغ الهند. وكان لا يُعرف قبل ذلك طريق آخر الى الهند بحرًا الّا البحر الاحمر الذي منهُ كانت تسير سفن المصريين والاتراك الى جهات الهند فتبادلها محصولات بلادها وتستجلب باثمان بخسة افاويه الهند وابازيرها فتبيعها البنادقة في الاسكندرية. ولم يكن هذا الفكر خطَرَ لاوّل مرّة على بال الملك بل كان سبقهُ اليهِ الملك هنريكس المعروف بالبحّار سنة ١٤٦٠. ثمّ عاد خلفهُ الفنس الخامس وعرضهُ على اهل دولتهِ سنة ١٤٨١. ثمّ اراد يوحنّا الثاني ان يخرجهُ الى حيّز العمل فجهّز سنة ١٤٨٧ سفناً عهد تدبيرها الى بحّار شهير يُدعى برتلمي دياز ليتحقّق الامر فأبحر مستكشفاً سنة ١٤٨٧ حتى بلغ اقصى جنوب افريقية الى الرأس الذي استبشروا بهِ فدعوهُ برأس الرجاء الصالح

وفي السنة ذاتها دخل بورتغاليّان مصر وسارا برًّا منها الى جهات الصومال فأبحر احدهما المدعو بدرو دي كوڤلهام (Pedro de Covilham) الى الهند ونزل في ملبار ثمّ ركب البحر منها الى سواحل افريقية الشرقية فبلغ ناحية سُفالة الواقعة على الدرجة ٢٠ من العرض الجنوبي فتحقّق من اهلها موقع جزيرة مدغسكار والبلاد الساحليّة شرقي افريقية فكتب في ذلك تقريرًا واسعاً للملك يوحنّا الثاني يؤكد لهُ إمكان استدارة افريقية بحرًا من غربها الى شرقها بحيث تستطيع المراكب اذا واصلت سيرها قرب السواحل ان تصعد الى جزيرة مدغسكار والى نواحي سفالة فتبحر منها الى الاوقيانوس الهندي ثمّ الى الهند

على ان هذه المعلومات بقيت حبرًا على ورق في زمن الملك يوحنا الثاني لمرض اصابهُ فشغلهُ عن اثباتها الى ان قام خلفهُ مانويل الملقّب بالسعيد فنالهُ الفخر بتحقيقها والانتفاع بها

فاسرع هذا الملك وامر بتجهيز سُفن متينة وخفيفة معاً جامعة لكل اسباب الراحة والمناء تقوى على الاسفار البعيدة. فاستحضَرَها بُناتُها كما شاء. وتألف منها اسطول صغير ذو خمس مراكب كان اهمُّها ثلثاً على اسماء رؤساء الملائكة سان غبريال وسان ميكال وسان رافائيل. فأقام لكل منها ربّاناً وعيّن فاسكو دي غاما رئيساً لتلك البعثة فنشر رايتهُ على السفينة سان غبريال وهي اكبرها. واتخذ لهُ كربّان بيرو دي أنيكار الذي كان رافق برتلمي دياز الى رأس الرجاء الصالح. امّا

دياز فركب ايضاً سفينةً برفقة فاسكو دي غاما إلّا انهُ كان موجّهاً الى ناحية اخرى الى ساحل الذهب للاستكشاف على مناجمها الثمينة

كان فاسكو دي غاما يوم سفرهِ في عزّ كهولتهِ دون الثلثين من عمرهِ وكان اقترن بالزواج مع احدى سيّدات بلاط الملك. وكان هو شديد البنية رَبْعة القامة ذو هيبة تبدو على وجههِ علائم العزم والاقدام كأنّهُ خُلق للرئاسة والتدبير وهو مع ذلك عسر القياد سريع الغضب. وكان فاسكو رجلاً متديّناً دعا قومهُ ليلة سفرهِ الى زيارة معبد قديم للعذراء مريم يُعرَف بسيّدة بيلم (N. D. de Belem) ليجعل سفرهم تحت شفاعة سيّدة البحار. وكان عدد المسافرين من رؤساء ومرؤوسين ١٦٠ رجلاً

وكان سفر الاسطول في ٨ تموز ١٤٩٧ يرأى جماهير الشعوب وهتافهم فساروا جنوباً تدفعهم ريح موافقة الّا انّ الانواء البحريّة وتقلّبات الجوّ لم تسمح لهم بالبلوغ الى رأس الرجاء الصالح الّا بعد اربعة اشهر بنيّف فبلغوهُ في ١٣ تشرين الثاني وقطعوهُ في ظهر ذلك اليوم لاوّل مرّة فنال الرُكّاب لذلك فرحٌ عظيم فعُدَّ بجملة الايّام المشهودة والمواسم المعدودة

بيد انّ الاسابيع التالية كانت حمية شديدة القضى ، وتطاولت اوّلاً ١٣ يوماً في جونٍ هناك يُدعى «سان براز» نصبوا عند ساحلهِ صليباً كبيراً وبعد ان خذوا فيهِ نصيباً من الراحة واصلحوا امورهم واصلوا السير حتى بلغوا يوم عيد الميلاد ١٤٩٧ المدينة التي دعوها ناتال باسم العيد (Natalis Domini) فرفعوا عليها راية ملك بورتغال. ثم بارحوها صاعدين الى الشمال وحاذين سواحل افريقية الشرقية وبلاد كفريرية فكانوا يسالمون اهلها ويبادلونهم محصولات البورتغال

وقد لقي دي غاما في سيرهِ هذا عناء كبيراً وذلك اوّلاً بما لقوهُ من انواء البحر الشديدة ثمّ من مجاريهِ الماكسة وأُصيب الرقيّون بداء فقر الدم (scorbut) فأضربوا عن العمل فاضطرّ دي غاما الى اكراههم على الشغل فرسا حيناً عند مصبّ نهر زمبيزة ووجد في اهل تلك البلاد نفوراً اذ ارادوا ان يمنعوهم من التموين من الماء الشروب فحاربهم واقام هناك مخفراً ومستودعاً تجاريًا

ثمّ وصل دي غاما بسفنهِ الى بلاد موزمبيك في ١٠ آذار فرسا عند مدينة ساحليّة تُدعى سُفالة يذكرها ياقوت في معجم البلدان كآخر ما يُعرف من ارض الزنج ويذكر

ذهبها الشهير. ولم يجد فيها البرتغاليون ما أملوهُ من حسن المعاملة وحاول ملكها ان يغدر بهم ويضلّهم في طريقهم الى الهند فاخذوا منهُ حذرهم وقاومزهُ

ثم وصلوا الى مُنبَسَه في ٧ نيسان فرحّب بهم اهلها واتوهم بثمارها. فانتعش الرضى بنسيمها العليل وجودة هوائها. وتحقّق فاسكو هناك انهُ لم يضلّ عن طريقهِ. وسافر من ممبسة الى مَلَنْدي الواقعة على الدرجة ٣ من العرض الجنوبي فبلغها في ١٥ نيسان في يوم عيد الفصح فاكرم ملكُها مثواهم وقدّم لهم ما يحتاجونهُ لسفرهم وعيّن لهم دليلاً عارفاً بطرق البحر يصفهُ البرتغاليون كهندي من كَرَات ويدعونهُ Malemo Cana (او Canake وهو تصحيف اسم «المعلّم» اما «كانا» فهي لفظة هنديّة معناها «المنجّم» لاستدلالهِ على طريقهِ بمراقبة النجوم. واليوم قد تحقق المسيو فرّان (G. Ferrand) انّ الدليل المذكور كان مسلماً من اهل عمان يدعى احمد بن ماجد ذكرهُ قطب الدين النهروالي في كتابهِ البرق اليماني الذي انتقدهُ العلّامة سلفستر دي ساسي (١)

وقد اكتشف المسيو فرّان الكتاب النفيس الذي ألّفهُ دليل فاسكو دي غاما فنشرهُ مؤخرًا وباشر بترجمتهِ الى الافرنسية وعنوانهُ كتاب الفوائد في اصول علم البحر والقواعد. وكان كاتبهُ ابن ماجد يلقّب بعلم البحر لخبرتهِ الواسعة في قطع البحار. كان ورث علمهُ عن ابيهِ وجدّهِ وقد عرفهُ الاتراك قبل البرتغاليين وقد ذكرهُ البحّار التركي سيدي علي في مذكراتهِ البحريّة التي وردت في المجموع المعروف بالمحيط المؤلّف سنة ١٥٥٦ : ومما يقولهُ هناك عن ابن ماجد انهُ كان مولودًا في جُلفار التي سماها ذكرها اصحاب الخوارط وقد ذكرها صاحب تاج العروس فقال انها في نواحي عمان. وهي في الواقع فرضةٌ من ساحل عُمان الغربي عند مضيق بحر العجم وهي اوّل ما يلاقاهُ المسافر عند اجتيازهِ من بحر عمان الى بحر العجم واسمها في خوارط الانكليز رأس الخيمة وهي بلدة يبلغ عدد اهلها نحو الف نسمة (٢) وكان ابن ماجد كتب ادلّةً مختلفة بينها دليلان في مكتبة باريس العموميّة برقم ٢٢٩٢ و٢٥٥٩ وصفهما المسيو فرّان لاسيما الثاني منهما (ع ٢٥٥٩) الذي اهتمّ بنشرهِ وقد قال عنهُ

---

(١) اطلب Notices et Extraits, IV, 179, p. 412 s99

(٢) اطلب SPRENGER: die alte Geographie Arabiens, *Bonne*. 1875= A. Hand-book of Arabia, I, 342

انهُ من ابدع التآليف ضمَّنهُ المعلومات الوافية عن كل جهات بحر الهند وطرقهِ وعن المواسم والرياح المختلفة وعن المرافئ التي يحتاجها الركَّاب مع بيان عَرضها وذلك بكل تدقيق يُنتظر من كاتبي ذلك العهد (١)

فهذا هو الدليل الذي اصابهُ فاسكو دي غاما ففحصهُ فحصاً مدقَّقاً وألقى عليهِ أسئلة عديدة وطلب منهُ الخارطة التي كان يستدلُّ بها لاسفاره الى الهند والادوات التي كان يستعملها لمعرفة علوّ النجوم. فبعد الاحفاء في البحث تأكَّد انهُ وجد ابن ماجد خيرَ دليل للبلوغ الى أربهِ وأسرع الى الاستفادة من خبرتهِ فسيَّر اسطولهُ الى سواحل الهند وذلك في ٢٤ نيسان ١٤٩٧ (٢). وفي ٢٧ أيار من السنة بلغ قالقوط من سواحل ملبار في عرض الدرجة ١١ الشمالية. فكان وصولهم اليها بعد ٢٦ يوماً من ملندي واحد عشر شهراً منذ سفرهم من لشبونة

وكانت قالقوط وقتئذٍ مدينة كبيرة رائجة الاسواق تتقاطر اليها كل محصولات الهند الثمينة كالابازير والافاويه والاعطار واللآلئ والحجارة الثمينة. وكانت مراكب التجار تتراحم في مرافئها فربَّما بلغت من ٥٠٠ الى ٧٠٠ مركب فلقي البرتغاليون تجَّارها قصدوها من انحاء شتى بينهم الجكيُّون (من بروج) والبنادقة. وكان المالك على قالقوط رجل من الهنود يدعونهُ سامودري او سامودي راجا

فثبت لدى فاسكو دي غاما انهُ اصاب الهدف. وكان وصولهُ الى قالقوط مبعثاً لاندهاش العرب فاظهروا للبرتغاليين استياءهم وسعوا الى إثارة ملك الهند عليهم فجاهروهم بالعداوة واضطرَّ فاسكو الى استعمال القوَّة وضرب المدينة بالسلاح ثم تركوا المدينة فلم يقووا على ابتياع ما شاؤوا من اسواقها الَّا بعض طرودة من الابازير وقليلاً من الحجارة الكريمة واللآلئ فاكتفوا بذلك ولاسيما انَّ سفنهم كانت صغيرة ولم تكن غايتهم المتاجرة بل الاستطلاع فغازوا ناقص مرغوبهم

ثمَّ عاد فاسكو دي غاما أدراجهُ مسرعاً الى لشبونة فبلغها في اواخر آب ١٤٩٩

---

١) وفي مكتبة المجمع العلمي في دمشق نسخة اخرى شبيهة بنسخة باريس الثانية (ع ٢٢٩٢) ذُكرت في اعمال المجمع (عدد شباط ١٩٢٢). وقد وُجدت نسخة ثانية ايضاً في جدَّة كنسخة العدد ٢٥٥٩ الَّا انها ناقصة

٢) البلب Barros: Da Asia, Decade I, Livre IV, Ch.VI, pp. 319-320 ed.1779

بعد ان قضى اشهرًا في البحر لسكون الريح وفقد فوق المئة من نوتيّته بداء فقر الدم. فحدّث عن فرح الملك مانويل واهل البرتغال لاكتشاف هذه الطريقة الجديدة الى الهند ولا حرَج. وما لبث في السنة المقبلة ان جهّز اسطولًا ثانياً مركّباً من ١٣ مركباً جعلهُ تحت قيادة كَبْرال فأبحر الى الهند في ٩ آذار ١٥٠٠ ثمّ شفعهُ باسطول ثانٍ خرج من لشبونة في ٥ آذار ١٥٠١. وفي السنة ١٥٠٢ استدعى ثانيةً فاسكو دي غاما وارسلهُ الى الهند ليقطع الطريق بين مصر والهند فيطارد سفنَ المصريين ويمنعها من الخروج عن البحر الاحمر وسفنَ الهنود ليصرفها عن الدخول اليهِ. فكتب سفير البندقة الى رئيس جمهوريّتهِ يُعلن لهُ بان هذه البعثة هي بمثابة حرب ضد الاتراك

فترى ما بلغهُ ملوك البرتغال في مدّة خمس سنين فقط فانّهم ماطلبوا اوّلًا سوى اكتشاف طريق الى الهند وحاولوا بعد اكتشافهِ المتاجرة مع غيرهم من التجّار. وفي البعثة الاخيرة قصدوا الاحتكار على محصولات الهند والغاء كل مزاحمة في متاجرتها ليتفردوا في الانتفاع من تلك الكنوز وبيعها للاقطار الاوربية. ولذلك ترى الملك مانويل في رسالتهِ الى وكيل البندقيّة في بلاط اسبانية يازحهُ بقولهِ انّ البرتغاليين وفّروا على مواطنيهِ الاسفار الى مصر فيمكنهم ان يبتاعوا محصولات الشرق منهم بلا عناء. فعلم البنادقة انّ تجارة الهند تحوّلت الى سواهم

والحقّ يقال انّ طريق الهند الجديدة زعزعت اركان الجمهوريّة البندقيّة حيث أفقدتها معظم ثروتها. ولم يسعها ان تجاري دولة البرتغال التي تغلبها قوّةً ونفوذًا. وكانت هي متوسّطة بين مصر والاقطار الاوربيّة فيبتاع تجّارها محصولات الهند ضعف قيمتها من ايدي العرب في جدّة او في عَدَن او في مصر ويؤدون لديوان الاسكندريّة ضرائب جديدة عليها فيبيعونها اخيرًا باثمان فاحشة. مثال ذلك ان رطل الزنجبيل كان يُباع بقنطار باربعة عشر فرنكاً. وكان العرب يبيعونهُ في الاسكندريّة بثمانية وثلثين فرنكاً ونصف فاذا ابتاعهُ البنادقة طلبوا فيهِ نحو مئة فرنك

فلمّا صار البرتغاليّون يجلبون تلك الافاويه والعطور رأساً من الهند امكنهم بيعها في اسواقهم باثمان متهاودة. وعلى عكس ذلك اخذت سلع الهند تقلّ في الاسكندريّة وفي بيروت وترتفع اسعارها لقلّتها فلا تنقل سفن البنادقة سوى ربع ما

كانوا يتموّنونهُ سابقاً فيها من بضاعة الهند مع زيادة فاحشة في الاسعار . فما لبثت ان كسدت اسواق البندقيّة وصار تجّار الالمان وغيرهم يقصدون اسواق البورتغال عادلين عن متاجرة البندقية

وكان القائد كبرال قد عاد بعد بعثتهِ وسفنهُ موسقةٌ بضروب محصولات الهند . ومثلهُ فاسكو دي غاما بعد رحلتهِ الثانية فانها موّنا بلادهما بنحو ثلثين الف رطل من الافاويه والعطريّات وخمسة آلاف طنّ من البهار وبكميّات وافرة من القرفة والجوز الهندي والزنجبيل ومن الحجارة الكريمة والدراري الثمينة . وصارت تلك البضائع تباع بنصف ثمنها ويربح البرتغاليّون بيعها ارباحاً وافرة

وكانت رحلة فاسكو دي غاما الثانية الى الهند رحلة ظافر لم يشُبها شيء من المكدّرات السابقة . وكان في طريقهِ يقرّر سيادة البرتغال على البلاد التي تعرّضَ لهُ امرازها في بعثتهِ الاولى كسفالة وموزمبيك ورفع العلم البرتغالي على انحائها واحرق في طريقهِ سفينةً مصريّة انتقاماً لسوء معاملتهم لهُ في قالقوط . ثمّ صار الى هذه المدينة ايطالب بدم بعض اصحابهِ الذين اغتالهم ملكها زامورين فضربها بالمدافع واحرق سريرها واضطرّ ملكها الى طلب التنزّل عن عرشهِ وحال دون السفن الاجنبيّة عن دخولها ومتاجرتها فانتشر الخبر في انحاء الهند فهلع اربابها وقبلوا سيادة البرتغاليين عليهم وأدّوا لهم جزيةً . ثمّ سار الى كوشين وكان ملكها تريومبارا ضرب عهداً مع كبرال فجدّد المعاهدة ووضع الشروط الموافقة للمتاجرة بينهُ وبين دولة البرتغال . ومنذ ذلك الحين اصبحت المعاملات التجارية بين الهنود والبرتغاليين نظاميةً سلميةً وترك الاسطول تحت قيادة نائبهِ فيسنته سودره وعاد الى ليشبونة حيث اعلم الملك مانويل بان سيادة البرتغال على الهند اصبحت ثابتةً راهنة لا يناويها عدوّ

ولم يَعُد فاسكو دي غاما الى الهند بعد ذلك بل بقي لا يتعاطى امور الدولة طول ايام الملك مانويل . ولمّا قام خلفهُ يوحنّا الثالث اراد ان يُسند اليهِ امارة البحر في الهند ويجعلهُ نائبهُ في الشرق فانتدبهُ لهذه المهمّة سنة ١٥٢٤ فصار لهُ حينما ذهب استقبال جدير بمقامهِ ولمّا وصل الى مدينة غوا استحسن موقعها وعلم ما ستبلغهُ من المجد ثمّ ابحر الى مدينة كوشين فما كاد يطأها حتى أُصيب بداء عياء أودى بحياتهِ فدُفن هناك مكرّماً وأُقيم لهُ مشهد فخم في مدينة ترافنكور ثمّ نُقلت رُفاتهُ بعد

سنوات الى لشبونة فاستقبلها الملك واعيان الدولة وجمهور الشعب بما تستحق من تظاهرات التجلّة والاكرام وقُبر في معبد بجوار قصره الذي كان يسكنهُ قبل سفرته الاخيرة

وكان الملك مانويل قبلهُ قد منحهُ لقب « دون » الشرفيّ وخوّلهُ دوقية فيغيراس مع امتيازات شتى تمتّع بها زمناً واورثها بنيهِ من بعدهِ

٢ صفات الرجل وثمار اعمالهِ

قد سبق ان فاسكو دي غاما كان رجلاً مقداماً ذا همّة قعساء لا تثبطهُ الاخطار ولا تثني عزيمتهُ الصاعب وذلك ما مكّنهُ من تنفيذ مقاصدهِ . وكان بعيد النظر للامور يتقصّى في البحث عن سوابقها ولواحقها واذا باشرها يلازمها ويدفع مرؤوسيهِ على عملها دينا يبلغ الى تحقيقها . ومما يُخبر عنهُ في رحلتهِ الثالثة انهُ حدثت لهم زلزلة ارتجفت لهُ فرائص جميع رفقتهِ . فالتفت اليهم قائلاً ألا ترون انّ البحر نفسهُ يضطرب هلعاً امامنا فكانت تلك الكلمة اشبه بما فاه بهِ يوليوس قيصر في بعض اسفارهِ البحريّة اذ كادت سفينتهُ تغرق فصرخ : لا بأس عليكِ فانكِ تنقلين قيصر »

ومن صفات دي غاما الحسنة حبُّهُ الخالص لوطنهِ كان يتفانى في رفع شأنهِ وتعزيزهِ . وان تصدّى لهُ مُعادٍ في سبيلهِ تنمّر غيظاً وربّما تجاوز الحدود في مقاومتهِ وتذليلهِ . وكان في ساعة غضبهِ يكاد ان يلتهم المحرّك انيظهِ . وكان مع ذلك في حياتهِ الاجتماعيّة دمث الاخلاق لين العريكة ذا هيبة ووقار

وما لا شكّ فيهِ انّ الخدمة التي قدّمها لوطنهِ بفتح طريق الهند خدمة لا تُقدّر فانّها جعلت للبرتغال مدّة سنين عديدة رتبة رفيعة بين الدول الاوربيّة . بل كانت خدمتهُ جنّه عائدة الى منافع اوربّة جمعاء والى عموم الدنيا اذا امتزجت منذ ذاك الحين الدول الاوربيّة بالشرق الاقصى ونال كلّ قسم منها خيرات الآخر . فاتّسعت ثروة اوربّة من محصولات الهند واليابان والصين . واكتسب الشرق شيئاً من تمدّن الغرب ورقيهِ في عالمي الدنيا والدين

وبين مجاسن صفات فاسكو دي غاما روحهُ الدينيّة فانهُ كما رأيت التجأ الى معونة العذراء قبل سفرهِ لفتح طريق الهند . وكانت غايتهُ بسلوك الطريق الجديدة

الى الهند ان يفتح للتبشير بالدين النصراني باباً واسعاً وللمرسلين وسائل سهلة لبثاتهم الرسولية متمثلاً في ذلك بمثل كولمبوس الذي بتفتيشه عن عالم جديد كان يقصد انتشار دين المسيح بين غير المؤمنين

والحق يقال ان الرسالات الكاثوليكية اصابت بعد زمن قليل نجاحاً عظيماً فقام المرسلون من الرهبان الدومنيكان والفرنسيسيين وركبوا سُفُن البرتغال واسبانية ودخلوا بين شعوب متكئة في ظلال الموت بعبادتها للاوثان وسجودها لأخس المخلوقات وجعلوا يدعونهم الى الدين الحق

وقد زاد نور النصرانية سطوعاً بعد قليل في تلك البلاد لما انشأ اغناطيوس دي لويولا رهبانيته وبث ابناءه في الشرق الاقصى . وكان الذي دعاه الى هذا العمل المبرور هو يوحنا الثالث ملك البرتغال الذي كان انتدب قبلاً فاسكو دي غاما الى امارة الهند فاتاه القديس فرنسيس كسفاريوس وركب سفنه الى الهند في ٧ نيسان ١٥٤١ ونشر بتبشيره واعماله وعجائبه اسم السيد المسيح في انحاء الهند واليابان ودل اخوته على طريق الصين وصبغ بماء المعمودية مليوناً من البشر وذلك بمدة عشر سنوات فقط . ثم [illegible] ومدة مئتي سنة اخصبوا تلك الاراضي القاحلة بعرق جبينهم وبهراق دمائهم [illegible] الكنيسة الله شعوباً لا يُحصى عددها جدد كثيرون منهم فضائل المسيحيين الاولين وثبتوا في سبيل ايمانهم الى آخر نفس من حياتهم بل صبروا على كل العذابات وفضلوا الاستشهاد على جحود دينهم

وكل ذلك كان سببه فتح طريق الهند بحراً ريثما تُفتح ترعة السويس فتقصر الطريق وتنمو الرسالات الكاثوليكية النمو العجيب الذي نشاهده في ايامنا . والمبشرون هم الذين لا يطلبون من عملهم لا ربحاً ولا فائدة زمنية كالدول الاوربية بل يهتمون في خلاص اخوتهم من بني البشر لينقذوهم من رق عبودية ابليس ويفتحوا لهم ابواب الملكوت بمعرفة خالقهم الذي تأنس حباً بنفوسهم التي افتداها بدمه الثمين

شعراء النصرانيّة بعد الاسلام

شعراء الدولة الاموية (تابع)

للاب لويس شيخو اليسوعيّ

١٢ العُدَيل بن الفرخ (تتمّة)

وروى ابن عبد ربّه في العقد الفريد (٣: ١١٧-١٠٨) وابن قتيبة في الشعر والشعراء (٢٤٥) للعديل قولهُ يذكر يوم ذي قار وحضور بني شيبان وعجل فيهِ (من البسيط) :

ما أَوْقدَ الناسُ من نارٍ لِمَكْرُمةٍ إِلّا أَصطَلَيْنا وكنّا مُوقِدي نارِ
وما يُعَدُّون من يومٍ سمعتَ بهِ للناسِ أَفضَلَ من يومٍ بذي قارِ
جئنا بأَسلابهم والخيلُ عابسةٌ لمّا استلَبْنا لِكِسْرى كلَّ أَسوارِ(١

ومن جيّد شعر العُدَيل قصيدتهُ اللاميّة التي يمدح فيها قبائل وائل ويذكر دَفْعها عنهُ ويفتخر بها فقال (الاغاني ٢٠: ١٤—١٦) (من الكامل) :

صَرَمَ الغَواني واستراحَ عَواذلي وصحَوْتُ بعدَ صَبابةٍ وتَمايُلِ
وذكرتُ يوم لوى عُنَيْق(٢ نسوةً يَخْصُرْنَ بين أَكِلّةٍ ومَراجلِ
لَعِبَ النعيمُ بهنَّ في أَطلالهِ(٣ حتى لَبِسْنَ زمانَ عيشٍ غافلِ

١) ويروى : يوم استلبنا
٢) لوى عُنَيْق مكان بينهُ . ويروى : لوى عُنَيق ٣) ويروى : في اظلاله

يأخذن زينتهن أحسن ما ترى ... واذا عطلن فهن غير عواطل
واذا خبأن خدودهن أرينني(١ ... حدق المها وأخذن سهم القاتل
ورمينني(٢ لا يستترن بجنة ... الا الصبا وعلمن ابن مقاتلي
يلبسن أردية الشباب لأهلها ... ويجرن باطلهن جبل الباطل(٣
بيض الأنوق بكسرهن ومن يرد ... بيض الأنوق فوكرها بمعاقل(٤
ورآك اهلك منهم ورأيتهم ... بفروع أرعن فوقها متطاول
واذا سألت أبني نزار بيننا ... مجدي ومنزلتي من أبني وائل
حدبت بنو بكر علي وفيهم ... لهم المكارم بالعديد الكامل(٥
خطروا وراني بالقنا وتجمعت ... منهم قبائل أردفوا بقبائل
ان الفوارس من لجيم لم تزل ... فيهم مهابة كل ابيض فاصل
متعمم بالتاج يسجد حوله ... من آل هوذة للمكارم حامل(٦
او رهط حنظلة الذين رماحهم ... سم الفوارس حتف موت عاجل
قوم اذا شهروا السيوف رأوا لها ... حقا ولم يك سلها للباطل
ولئن فخرت بهم لمثل قديمهم ... بسط المفاخر للسان القائل

---

١) كذا روى الحصيري في زهر الآداب (١ : ٨٤) . وفي الاغاني : واذا جنان خدودهن أرينا . وهو تصحيف
٢) روى الحصيري : يرمينا
٣) روى الحصيري : ذيل الباطل وقد غنى ابن سريج بالابيات الاربعة السابقة
٤) يشير الى المثل : اعز من بيض الأنوق
٥) وفي الاصل : والعديد الكامل
٦) يشير الى هوذة بن علي سيد بني حنيفة النصراني المعروف بذي التاج (اطلب كتاب النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية ص ٤٦٣)

اولادُ ثعلبةَ الـذين بِشِلْهِمْ ... حِلْمُ الحليمِ وردُّ جهلِ الجاهلِ
ولِمَجْدِ يَشكُرُ صورةٌ عاديّةٌ ... وأبٌ اذا ذكروهُ ليس بخاملِ
وبنو الفِزارِ اذا عددتَ صنيعَهم ... وَضَحَ القديمُ لهم بكلِّ محافلِ
واذا فَخَرْتَ بتَغْلِبَ ابْنةِ وائلٍ ... فاذكُرْ مكارمَ من نَدًى وأوائلِ
ولتغلبَ الغَلْباء عِزٌّ بيِّنٌ ... عاديّةٌ ويزيـدُ فوقَ الكاهلِ
تَسْطو على النُّعمان وابن مُحرِّقٍ ... وابنَيْ قطامِ بعِزَّةٍ وتَناوُلِ
بالمُقْرَباتِ يَبْنَ حولَ رِحالِهمْ ... كالقِدِّ بين أَجِلَّةٍ وصَواهِلِ
اولادُ أَعْوَجَ والصَّريحِ(١ كأنّها ... عِقْبانُ يومِ دُجُنَّةٍ وتَحايُلِ
يَلْفِظْنَ بعد أُزُرِهنَّ على الشَّبا ... عَلَقَ الشَّكيمِ بأَلْسُنٍ وجَحافلِ
قومٌ هُمُ قتلوا ابنَ هِندٍ عُنْوةً(٢ ... وقَنا الرماحِ تَذودُ وِرْدَ النّاهلِ
منهم ابو حَنَشٍ وكان بكَتْبِهِ ... رَيُّ السِّنانِ وريُّ صَدْرِ العاملِ(٣
ومُهَلْهِلُ الشعراء ان فَخَرُوا بهِ ... ونَدَى كُلَيْبٍ عند فَضْلِ النّازلِ(٤
حَجَبَ المَنِيَّةَ دون واحدِ أُمِّهِ ... من أنْ تَبيتَ وصَدْرُها ببلابلِ
وأَبَى مُجالَسةَ الشّبابِ فلم يكن ... يستب مجلسُهُ وحقَّ النازلِ
حتى أَجارَ على الملوكِ فلم يَدَعْ ... حَدَباً ولا صَعَرًا لرأسِ مائلِ
في كلِّ حيٍّ للهُذَيْلِ ورَهْطِهِ ... نِعَمٌ واخذُ كريهةٍ بتناوُلِ

---

١) اعوج والصريح فرسان من الخيل الاصيلة يضرب العرب بكرمها المثل
٢) قتل عمرو بن كلثوم التغلبيُّ ملكَ الحيرة عَمْرَ بن هِنْد
٣) ابو حنش كُنْيَة عَصِم بن النعمان التغلبي قتل شرحبيل بن الحارث الغسّانيّ اخاهُ لامّه ذا الشَّيْنة
٤) اطلب اخبار كليب والمهلهل في شعراء النصرانيّة

بِيضٌ كرائمُ رَدْهنَّ لعُنوةٍ أَسَلُ القَنا وأخذنَ غيرَ أَراملِ
ابناؤهنَّ من الهُذَيل ورَهطِهِ مثلُ الملوك وعِشنَ غيرَ عوامل

وقد روى له في الاغاني (٢٠: ١١) ابياتاً فيها غناء لمعبد (من الطويل) :

فان تكُ من شَيبانَ أُمي فانني لأَبيَضَ من عجلٍ عريضِ المَفارقِ
وكيف بذِكرَى امِّ هارون بعدما خَبَطْنَ بأيديهنَّ رَمْلَ الشقائقِ
كأنَّ نِقاً من عالجٍ آزَرَتْ بهِ اذا الذِلُّ ألْهاهُنَّ شدَّ المَناطقِ
وانّا لَتُغْلي في الشتاء قدورَنا وتَصْبِر تحتَ اللامعاتِ الخوافقِ

وقد روى الاصمعيّ انَّ الشاعر الراجز ابا نجم قال للهُذَيل: أَرأيتَ قولك (فان تكُ من شيبان أُمي البيت)، أكنتَ شاكّاً في نسبك حين قلتَ هذا. فقال له الهُذَيل: أو كنتَ أنتَ في نفسك ابو شديك حين قلت :

أبا والك يا شِعْري شعري فهذي ما تَحِنُّ صدري

فأمسك ابو النجم واستحيا — ومن مديح الهُذَيل ما قالهُ في رجلَين عُرفا بشرفهما وضرب المثل بكرمهما وهما حوشب الشيباني وعكرمة بن ربعي الفيّاض. روى عنهما صاحب الاغاني ما حرفهُ قال (٢٠: ١٩١٨) :

«كان حوشب بن يزيد الشيباني وعكرمة بن ربعيّ يتنازعان الشرف ويتباريان في الطعام وَنَحر الجُزُر في عسكر مُضَعَّب. وكان حوشب يغلب عكرمةَ لسَعَة يدهِ. (قال) وقدم عبد العزيز بن يسار مولى بُختر... بسفانٍ دقيق فأتاهُ عكرمة فقال لهُ: اللهَ اللهَ فيَّ قد كاد حوشبٌ ان يستغلِيَني ويتغلبني بمالهِ فيبني هذا الدقيق بتأخير ولك فيهِ مثلُ ثمنهِ ربحاً. فقال: خذهُ. واعطاهُ اياهُ فدفعهُ الى قومهِ وفرّقهُ بينهم وامرهم بعَجْنهِ كلّهِ فعجنوهُ كلّهُ ثمّ جاء بالعجين كلّهِ فجمعهُ في جِرَفةٍ عظيمةٍ وامر بهِ فغُطّي بالحشيش. وجاء بِرَمكة فقرّبوها الى فرس حوشب حتى طلبها وأقبلت ثمّ ركضوها بين يديهِ وهو يتبعُها حتى ألقوها في ذلك العجين وتبعها الفرس حتى تورّط

في العجين وبقيا فيهِ جميعاً. وخرج قومُ عِكرمة يصيحون في العسكر: يا معشر المسلمين أدركوا فرس حوشب فقد غرق في خميرة عِكرمة. فخرج الناس تعجُّباً من ذلك اذ تكون خميرةٌ يغرق فيها فرس. فلم يبقَ في العسكر احد الّا ركب ينظر وجاؤوا الى الفرس وهو غريق في العجين ما يبينُ منهُ الّا رأسُهُ وعنقهُ. فما أُخرج إلّا بالعَتَد والحبال وغلب عليهِ عكرمة وافتضح حوشب فقال العُديل بن الفرخ يمدحها ويفخر بها (من الطويل):

وعِكْرِمَةُ الفيّاضُ فينا وحَوْشبٌ هما فَتَيا الناس اللّذا (١ لم يُعَمَّرا
هما فَتَيا الناس اللذا لم يَنالُهما رئيسٌ ولا الأَقْيالُ من آلِ حِمْيَرا

وقال غيرهُ في حوشب:

وأَجْوَدُ بالمال من حاتمٍ وأَنْحَرُ للجُزْرِ من حوشبِ

وقد مدح العُديل رجلاً آخر سيّداً على بني ربيعة بن نزار اسمهُ مالك بن ربيعة ابن مِسْمَع لاذ بابيهِ بنو تميم والأَزد لان والي الكوفة زياداً حمل مالاً من البصرة الى مُعاوية فخرم عرب ربيعة فاستغاثوا بربيعة بن مسمع فارسل ابنهُ مالكاً فلحق بالمال وردَّهُ وانفقهُ في الناس حتى وفاهم عطاءهم فما راجعهُ زياد. ثمّ ولي حمزة بن عبدالله بن الزبير البصرة فجمع هو ايضاً مالاً ليحملهُ الى ابيهِ فاجتمع الناس الى مالك واستغاثوا بهِ ففعل مثلَ فعلهِ بزياد فقال العديل قصيدتهُ التي اوّلها (من الطويل):

أَمِنْ مَنزلٍ من أُمِّ سَكْنَ عَشِيَّةً ظَلِلتُ بِها ابكي عليهِ مُفكِّرَا
معي كلُّ مسترخي الإزار كأنَّهُ اذا ما مشى من جِنِّ غِيلٍ وعَبْقَرا
مُنيخي المَطايا لا يُبالي كلاهما مُقَلِّصةً خوصاً من الأَيْنِ ضُمَّرا

٠ ومنها في مديح بني مسمع ومالك (عمدة ابن الرشيق ٢: ٦ والاغاني ٢٠: ١٧):

١) اللذا مثنّى اللذي بحذف نونها للشعر

بني مِسْمَعٍ لولا الإلـهُ وانتمُ بني مِسْمعٍ لم يَنكُرِ الناسُ مُنْكَرا
اذا ما خَشينا من امير ظُـلامةً دعونا أبا غسَّانَ يومـاً فمسكرا
ترى الناسَ افواجاً الى بابِ دارهِ اذا شـاء جاؤوا بدارِعينَ وحُسَّرا

ومما يُروى ايضاً من شعر العُدَيل بن الفرخ ما قالهُ في رجل من بني عجل يدعى جبَّارًا كان رجل من بني العَبَّاب من رهط العديل اصاب انفهُ (من الطويل):

ألم تَرَ جبَّارًا ومارِنَ أنفِهِ لهُ ثُلَمٌ يَوْمينَ ان يتخَثَّما
ونحنُ جدَعْنـا أنفَهُ فكأنَّمـا ترى الناسَ أعداءً اذا هو أطلعـا
كُـلوا أنفَ جبَّارٍ بكارى فانَّنا تركناهُ عن فَرْطٍ من الشرِّ أجدعا
مَعـاقدُ من أيـديهمِ وأنوفِهم بكارى وثيباً تَرْكب الحَزْنَ طُلَّما

وكان رجل من رهـط العُدَيل ضرب ايضاً يد وكيع احد بني الطاغية وهما يشربان فقطعها وانتزعا فقال العُدَيل في ذلك (من الطويل):

تركتُ وكيعاً بعد ما شابَ رأسُهُ أشلَّ اليمينِ مستقيمَ الأخـادعِ
تَشَرَّبْ بها وُرْقَ الإفالِ وكُلْ بها طعامَ الذليل وانْحجِرْ في المخادعِ

فلمَّا قال هذا الشعر يفخر بقطع انف جبَّار ويد وكيع حلف رهطها ان يقطعوا انفهُ ويدهُ دونَ مَن فعلَ ذلك بهم. فهرب العديل وابوهُ الى بني قيس بن سعد ولجأا الى عُنَيْر بن جُبَيْر. فقال بنو قيس بن سعد للفرخ بن العُدَيل أنصِف قومك وأعطِهم حقَّهم. فركب اليهم الفرخ ومعهُ رجلان من بني الحارث اسمهما حسَّان ودينار فأسرتهُ بنو الطاغية وانتزعوهُ من الرجلين وتوجَّهوا به نحو البصرة. فرجع الرجلان الى قومهما مستنفرَين لهم فركب النَّفير في نَهْب بني الطاغية فادركوا منهم رجلًا فاشترى منهم الجراحة بسبعين بعيرًا واخذ ابنَ العديل منهم فاطلقهُ فقال ابن العديل يمدح بني قيس ويهجو بني طاغيـة (من الطويل):

ما زال في قيسِ بن سَعْدٍ لِجارِهِمْ على عَهْدِ ذي القَرْنَينِ مُعْطٍ ومانعُ
هم استَنقذوا حسّانَ قَسْرًا وأنتمُ لئامُ المقامِ والرماحُ شوارِعُ
غدَرْتم بدينارٍ وحسّانَ غُدْوَةً وبالفَرْخِ لمّا جاءكم وهو طائعُ
فلولا بنو قيسِ بن سَعْدٍ لأصبحَتْ عليَّ شِدادًا قبضُهنَّ الاصابعُ
ألا تَسألون ابْنَ المُشَتَّمِ عنهمُ جعامةُ والحيرانُ وافٍ وظالعُ

ومِمّا روى ابو الفرج في (الاغاني ٢٠ : ١٩) عن الاصمعي انهُ قال: دخلتُ على الرشيد يوماً وهو محموم فقال: أنشِدْني يا اصمعي شعرًا مليحاً. فقلتُ: أرَصيناً فَحلًا يريدهُ اميرُ المؤمنين ام شجيًا سَهلًا. فقال: بل غزلًا بين الفحل والسهل. فانشدتُهُ للفرخ بن العُدَيل العجلي (من الطويل):

صحا عن طِلابِ البيضِ قبلَ مَشيبِهِ وراجَعَ غَضَّ الطَّرْفِ فهو خفيضُ
كأنّيَ لم أرْعَ الصِّبا ويروقني من الحيِّ أحوَى المُقْلَتَين غضيضُ
دعاني لهُ يوماً هوًى فأجابَهُ فؤادٌ اذا يَلقى المِراضَ مريضُ
لِسُتّانِ آنِساتٍ بالحديث كأنّهُ تهامِلَ غُرٌّ بَرْقَهِنَّ وميضُ

فقال لي: أعِدْها. فما زلتُ اكرّرها عليهِ حتى حفظها

ولهُ في العتاب ما رواهُ صاحب الحماسة البصريّة (ص ٢٤٤ من نسخة مكتبتنا) وذلك انّهُ كان مدَح مع الفرزدق قوماً من رهطهِ فوصلوا الفرزدقَ دونهُ فقال (من الطويل):

أفي الحقِّ ان يُعطَى الفرزدقُ حُكْمَهُ وتَخرُجُ كفّي من نَوالكمُ صُفْرا
أهُمْ فَيْشَنيني أواصرُ بيننا وأيدٍ حِسانٌ لا أؤدّي لها شكرا

ومِمّا يُستشهد بهِ من شعر العُدَيل في كتب اللغة قولهُ (من الرجز):

اوعـدَني بالسجن والأداهمِ رِجلي ورِجلي شَثْنَةُ المناسمِ

قالوا الأداهم القيود من خشب جمع أدهم . اي تهدّدني بالسجن وتهدّد رجلي بالقيود وانما رجلي شثنة المناسم اي غليظة الباطن لم تؤلمها القيود

ومن رَجَز العديل رائيّتُهُ التي سرّ ذكرهـا وهي كثيرة الابيات ذكر منهـا ابن قتيبة في الشعر والشعراء قولهُ :

يا دار سَلْمى اقفرت من ذي دارْ(١ وهل بإقفـار الـديار من عـارْ

ثم ذكر وصفهُ للابل :

قواربَ الماء سَوامي الأبصـارْ وهنّ يَنهَضْنَ بدَكْـداكٍ هارْ(٢

أوْرَقَ (٣ من تُرْبِ العِراقِ خَوّارْ وقـد كُسِينَ عَرَقـاً مثلَ القـار

يخرجُ من تحتِ خلال الأوْبارْ

﴿وفاة العُدَيل في البصرة﴾ روى في الاغاني (٢٠ : عن محمّد بن سلّام قـال : قَدِمَ العديل بن الفرخ البصرة ومدح مالك بن مِسمع الجِحْدري فوصَلَهُ فاقام بالبصرة واستطابها وكان مقيماً عند مالك فلم يزل بهـا الى ان مات . وكان ينادم الفرزدق ويصطحبان فقال الفرزدق يرثيه :

وما ولدتْ مثلَ العُدَيل جليلةٌ قديمًا ولا مستحدَثاتُ الملاثلِ

وما زال مُذْ شدّتْ بداهُ إزارَهُ يفتَتِحُ الابوابَ بكرُ بن وائلِ

هذان البيتان لم يُرْوَيا في ديوان الفرزدق

(لها بقية)

---

١) ويروى : من ذي قار

٢) القوارب جمع قارب وهو طالب الماء ليلًا . والدكداك الارض الغليظة والهار المتداعي يريد الارض التي تجرفها السيول

٣) الأورق الذي لونهُ لون الرماد

السريان في القطر المصري

لحضرة القس اسحق ارملة السرياني الكاثوليكي

اقترح عليّ بعض الافاضل أخصّهم جناب الفيكونت دي طرّازي امين دار الكتب الكبرى ببيروت ان اكتب نبذةً تاريخيّة في آثار السريان في القطر المصري ادوّن فيها ما خلّفوهُ هناك لعالم العلم والادب من المآثر وأثبت ما رواهُ في هذا المعنى الكتبة القدماء لاسيما السريان والكلدان واليونان والعرب

ففكّرتُ اوّلًا في سَرد ذلك التاريخ في الازمنة التي سبقت عهد السيد المسيح بانتشار الشعوب الآرامية ولغتهم الى بلاد بعيدة حتى وادي النيل . ثمّ أجّلتُ هذا البحث لوقت آخر وقصرتُ نظري على اخبار السريان في مصر بعد الميلاد وما دار بين القطرين من العلائق الخطيرة والصلات المتينة . ونحن نُطلق هنا لفظ السريان على الآراميين مهما كانت مصر اي ان الشرقيين منهم الكلدان والسريان العربيين الذين امتدّوا شمالًا في سورية وما يجاورها من بلاد ما بين النهرين دجلة والفرات . ولغة كلا العنصرين واحدة اي السريانية الشرقيّة وهي الكلدانيّة والسريانية الغربيّة . وهما لهجتان متقاربتان لكلٍّ منهما خواصّ تضاربت الآراء في ايّتهما الاصحّ والأفصح . وقد أصبح اسم السريان بعد تنصّرهم مرادفًا لاسم المسيحيين منهم وبقي اسم الآراميين دالًّا على الوثنيين بينهم

١ : ذكر علائق السريان الاولى مع المصريين

معلوم ان اوّل انتشار النصرانيّة في عهد الرسل كان في فلسطين ثمّ في ما يجاورها من بلاد الشام ومصر وكانت العلائق بين سوريّة ووادي النيل متواصلة يوميًّا فلا عجب ان نرى قومًا من السريان نزلوا الى مصر فاستوطنوها في قرون النصرانيّة الاولى كما هو الواقع في ايّامنا . وكذلك المصريّون كانوا يقصدون فلسطين وسوريّة لغايات دينيّة او مدنيّة . وقد ذكر سفر اعمال الرسل (٦ : ٩) الاسكندريّين واهل قيرينيّة

من جملة مضطهدي القديس استفانوس في اورشليم . وكذلك ذكر اوسابيوس القيصري سفر اوريجانس المعلم مرتين الى جهات الشام وكان السريان ينقلون الى لغتهم اعمال علماء المصريين كما انَّ المصريين كانوا يستفيدون من اعمال السريان ولاسيما ترجمتهم للكتاب المقدس المعروفة بالبسيطة التي نظر فيها اوريجانس وقد لقيها لدى امرأة ارملة على ما كتب اوسابيوس القيصري . روى ذلك ابن العبري في مقدمته على كتابه «كنز الاسرار»

٢ : السيرة النسكيَّة بين المصريين والسريان

يحق للبلاد المصريَّة ان تُباهي بلدان العالم طُرًّا بنشوء العيشة الرهبانيَّة فيها فكم الوفاً من النسَّاك والعبَّاد ظهروا فيها بعد القديس انطونيوس وعبَّقوا براريها بعبير فضائلهم . قال مار يوحنَّا الذهبيّ الفم (١ : ٥ لو قصدتَ يا هذا برّيَّة مصر في يومنا لوجدتَها تفوق الحدائق نضارة بزهور قديسيها وجمهور نسَّاكها . فالسماء بنجومها وكواكبها اقلّ بهاء من مناسك مصر وصوامعها . والخبير بسالف عوائد المصريين اذا وقف على تبدُّل حالتهم اعتقد الاعتقاد التام بقوة السيد المسيح»

وما لبث ان اجتذب شذى فضائلهم عددًا من اهل سوريَّة فسارعوا الى مصر وانتهوا الى الصعيد وعاينوا عجائب الله في سيرة اولئك الملتكة المتقمصين بالجسد البالغ عددهم ألوفاً مؤلفة فانتظموا في سلكهم وتقلَّدوا سيرتهم الفاضلة ثم عوَّلوا على نشرها في بلادهم

وكان الغرباء يقصدون تلك البراريّ المقدَّسة من كلّ انحاء المعمور . على انَّ السريان هم من اوَّل الذين ضاهوا المصريين بنسكهم وقشفهم وقد نقلوا شيئاً كثيرًا من اخبارهم واذاعوها في بلادهم وأديارهم . اخصُّها كتاب الآباء المصريين المعروف ببستان الرهبان للاسقف فلَّد او پلَّاديوس نقلهُ الى السريانيَّة في القرن السابع عشر السرياني النسطوري بمشورة جرجس الجاثليق . وقد نشر هذا الاثر المجيد الاب بولس بيجان الماروني سنة ١٨٩٧

---

١) اطلب كتاب بستان الرهبان . طبعة الاب بيجان (ص ٩٩٦ و ٩٩٧)

ومما جاء في الكتاب المذكور (ص ١٧٥—١٧٨) انَّ قوماً من السريان الاتقياء ارتحلوا الى القطر المصري ليتعرَّفوا بنسَّاكه ويتبرَّكوا منهم ومن جملتهم مار افرام الملفان المشهور فقال عنهُ ما ملخصهُ :

«سار مار افرام في الطريقة الروحية سلوكاً قوياً وآتاهُ الله تعالى موهبة العلوم الالهية والطبيعية . واشتهر باغاثته فقراء الرها ابان الغلاء وخلَّف تركة ثمينة لعالم العلم والدين» وقد جاء في سيرة حياته (١ انهُ انطلق الى مصر مستسراً عن الأنبا بيشاي . ولمَّا احتظى بمشاهدته اخذا يتفاوضان بالسريانية والقبطيَّة . واقام مار افرام في دير الانبا بيشاي اسبوعاً كاملاً ثم اخذ يطوف برِّيَّة الصعيد مدة ثمانية اعوام يعلِّم طريق الحقّ ويرشد الاريوسيّين ليرعووا عن غيّهم ثم عاد الى الرها وطنه»

وتعهَّد برِّيَّة الصعيد بيلس اسقف شوشن الشهيد (٢ فانهُ بعد ما حجَّ الى اورشليم يمَّم الاسكندرية وزار اونوميوس تلميذ مار انطونيوس واستمرَّ ثم سنتين ثم عاد الى بيت رُزَيق وطنه . وتعهَّد برِّيَّة الصعيد ايضاً مار ميخا (٣ وانزوى في صومعة خيمة مدة خمس عشرة سنة ثم سار الى دار بينا واورشليم الى الشرق ومرَّ بديار ماردين واستأنف السير الى قرية تلش بالموصل حيث كنيس دير البسيه في ناحيتها الشرقيَّة

ومن السريان الذين تعهدوا برِّيَّة الصعيد وطورسينا ابرهيمُ الكبير النسطوري (سنة ٥٠٣—٥٨٨) الذي وُلد في قرية بكشيكر ونشأ في الحيرة خلقاً كثيراً ثم انطلق الى طورسينا وصعيد مصر وتلقَّن من رهبانه القوانين النسكية وعاد الى نصيبين وابتنى ديراً في جبل الإزل . وهو الذي صنَّف طقساً خصوصياً لحلق رؤوس الرهبان على هيئة اكليل تمييزاً لهم من الرهبان السريان المنوفستيّين وانشأ لهم سنة ٥٧١ قوانين نشرها الأب شابو في رومية سنة ١٨٩٨

ومنهم جنّي الكشكريّ والراهب حايا الكشكري ويوحنا مؤسس دير بنقل وقفريانس (٤ فهؤلاء وغيرهم حجّوا الى اورشليم وزاروا جبل سينا وتعهدوا برِّيَّة

١) سير القديسين (٣ : ٦٤٠)
٢) سير القديسين (٢ : ٣٦٥) ٣) سير القديسين (٣ : ٥٢٤)
٤) كتاب العفّة طبع الاب يجان ص ٥٥٣ و٥٥٧ وتوما المرجيّ (ص ٣٥٣)

الصعيد وتبرّكوا بأضرحة الاباء النساك المشهورين ثم عادوا الى اوطانهم

واورد توما المرجيّ السطوري عن مارات زخا اسقف الحديثة (١ ما ملخصه :

«انطلق يوماً مارات زخا الى جبل بقربة زيني فصادف شيخاً جليلاً يرعى الابل وسمعه يترنّم بانشودة عيد القيامة التي بدؤها «ܡܪܝ ܕܟܝ ܩܡ ܡܫܝܚܐ ܒܪ ܐܠܗܐ» فصوّت به الاسقف وأوقفهُ وحيّاه بالسلام وتوسّل اليهِ ان يعرّفه أصله وفصله . فقال لهُ الشيخ بالعربية ما نصّهُ : «قم يا راهب ما لي ولك . مُرَّ بسلام من مكاني» . قال لهُ : الاسقف مارات زخا اذاً كيف تعرف العربية؟ والحّ عليهِ في الجواب والخفّ . فكشف لهُ الشيخ دخيلة أمره واوقفهُ على صحة خبرهِ قال : اعلم يا مولاي اني انتُخبت منذ اربعين سنة اسقفاً لشعبنا السرياني المنتشر في القطر المصريّ . ولمّا خرجتُ يوماً في جماعتي الى البريّة لنصلّي صلاة المطر ثار شذاذ العرب ورشقوا عليّ واستاقوني الى خيّمهم وانهزمتْ جماعتي عائدة الى مصر . أمّا انا فما زلتُ منذ اذ ارعى الابل كما تراني حتى اليوم . فبكى مارات زخا واستودعهُ الله وانصرف . وعاد اليهِ في القابل متشوقاً الى مشاهدتهِ فألفاهُ قد مات فأخذ عباءتَيْهِ وانقلب بهما الى الحديثة»

٣ : القديس اوجين والرهبان المصريّون بين السريان

ولعلّ ما رآهُ النسّاك المصريّون من إقبال السريان على التوحّد هو الذي دفع بعض اساطين الرهبنة في وادي النيل الى ان يقصدوا بلاد السريان لينشروا بينهم العيشة النسكيّة . واشهرهم هو القديس اوجين المصري

كان اوجين تلميذ فاخوم من اكبر زعماء الرهبان في مصر (٢ فهجر وادي النيل في اختيّهِ ثقلا واسطرطانيس وفي فئة من تلاميذه وارتحلوا الى بلاد المشرق يدعون الى النسك والزهد فنصّروا جمهوراً عديداً من الوثنيين وابتنوا اديارًا عظيمة ذكرنا منها عدداً في مقالتنا «سياحة في طور عبدين» التي نشرناها في مجلّة المشرق عام ١٩١٣ .

---

١) توما المرجيّ (طبع الاب بيجان ١٣٤-١٣٥)

٢) سير القديسين (٣ : ٢٨٦ طبع الاب بيجان)

وكان من جملة اولئك الرهبان مار شابطا المشهور (١ الذي اعتكف بادئ ذي بدء في دير مار فاخوم بصعيد مصر خمس سنوات ثم انزوى في احدى المغاور عشر سنوات ثم رافق اوجين الى جبل الإزل . ومنهم دانيال الطبيب (٢ المصريّ النحلة الذي ترهّب في دير مار فاخوم ايضاً عشر سنوات ثم شخص مع مار اوجين الى بلاد المشرق وشاد ديراً كبيراً على نهر مَلْثايا . ومنهم يونان القبرسي (٣ الطبيب النطاسي الذي ارتحل الى مصر واقام فيها خمس عشرة سنة ثمّ انضمّ الى مار اوجين وسار الى المشرق . ومنهم مَكسي القُلزميّ المصري (٤ ابن اخت مار اوجين الذي أقبل مع خاله واليشع شقيقه الى جبل الازل وشاد فيه ديراً جليلاً ما برح حتى يومنا في حوزة السريان (المشرق ١٦[١٩١٣] : ٨٤٥) . ومنهم فولا المصريّ صاحب دير حبشاس بطور عبدين . ومنهم فنحاس صاحب دير حاح بطور عَبْدين ايضاً الذي انزوى الى مغار اوجين (٥ وقتل شهيداً في فَنَك وبُني على اسمه ديران . ومنهم ميخائيل واخته سيراس صاحبا دير مار ميخائيل جنوبي ماردين . ومنهم يعقوب الحبيس المصري صاحب دير حاح المشهور في طور عبدين (٦ الذي تكمّل في عهد وهران (٤٢٠—٤٤٠) شهيداً في ايلول . ومنهم ابرهيم النطلي رئيس دير مار اوجين بجبل الازل (٧ ٥) وخليفته ابرهيم الاورشليمي وسلاوا سنة ٦٤٣ (٧ وقس على هؤلاء المشاهير ثلاثة رهبان مصريّ عادوا وطنهم الى طور عبدين وانقطعوا الى العبادة في دير قرتمين المعروف بدير العُشر فثار بهم الفرس واخذوا رؤوسهم قاطبة وما برح السريان يذكرونهم حتى اليوم ويستشفعون بصلواتهم

فممّا اوردناه يتّضح جلياً تعرّف السريان بالمصريين وامتزاج المصريّين بالسريان واختلاف بعض الفريقين الى اديار البعض ومواصلاتهم المتواترة حتى القرن السادس . ونختم هذا الفصل بما ورد عن القديس بطرس الشهيد بطريرك الاسكندريّة فقد جاء في سيرة حياته (٨ انهُ جال في بلاد ما بين النهرين وزار سوريّة وفينيقية وفلسطين

١) سير القديسين (١ : ٤٢٦)
٢) سير القديسين (٤ : ٤٨٤)
٣) سير القديسين (١ : ٤٧٢)
٤) سير القديسين (١ : ٤٢١)
٥) سير القديسين (٤ : ٣٠٨)
٦) المشرق (١٦ : [١٩١٣] : ٦٧٣)
٧) المشرق (١٦ : [١٩١٣] : ٨٤٩)
٨) سير القديسين (طبع بيجان ٥ : ٥٤٣)

كما يُستنتج من خطبته البديعة التي قال فيها ما ملخصه : « تعرفون يا اخوتي كيف كان سلوكي معكم هذه المدة الطويلة وما تكبدتُ من عبدة الاوثان اذ كنت انتقل من مكان الى مكان وأجول في بلاد ما بين النهرين وسورية وفينيقية وفلسطين . وكنت أواصلكم اذ ذاك بالرسائل لاثبتكم في الدين المسيحي . . . وقد كتبتُ جملة رسائل من بلاد ما بين النهرين الى الاساقفة المسجونين وهم : فيلاوس وهسوخيوس وفاخوم وثاوودوس وشجعتهم على احتمال النكال والعذاب » (١

٤ : ظهور البدع في القطر المصري وامتدادها الى القطر السوري

لم يبقَ مسيحيو مصر راسخين في مبادئ الايمان القويم وثابتين على التعاليم الرسولية والتقاليد الابوية التي أخذوها عن إمامهم مرقس الانجيلي وخلفائه الافاضل لكنهم تهوَّروا في مهواة البدع والشقاق وضلّوا سواء السبيل وخلعوا الطاعة للكرسي الروماني . فظهر فيهم سابيليوس وكان أصلهُ من ليبيا بمصر وزعم باقنوم واحد للثالوث الاقدس ثمّ ابوليناريوس الاسكندري وادّعى بان الروح القدس أصغر من الابن وان الابن اصغر من الآب . غير ان أشهرَ الملحدين كان اريوس القس الاسكندري († ٣٣٦) الذي احدث الشقاق في بيعة الله فحرمهُ الآباء ال٣١٨ في المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥ وقرّروا ان ابن الله عزّ وجلّ مولود منذ الازل ونظموا قانون الايمان وأمروا باستعماله في الكنائس . وظلّت البدعة الاريوسيّة ضاربةً أطنابها في الاسكندريّة قائمةً على ساق وقدَم في مصر وامتدّت الى انحاء سوريّة حتى ان الاساقفة الارثذكسيين طُردوا من تلك الاقطار وأُقيم بدلًا منهم اساقفة صغار متهتّكون جرّدوا سيف سخطهم نحو المسيحيين الارثذكسيين واذاقوهم من الاهانات والحبوس والاضرار ألوانًا

وظلّت بدعة اريوس منتشرة في القطر المصري حتى ظهر نسطور بطريرك القسطنطينيّة سنة ٤٢٨ واذاع هرطقته المشهورة التي شاعت في اصقاع الشرق فعقد الآباء مجمعاً في افسس سنة ٤٣١ وحرموه ونفاه ثاودسيوس الملك الى احد ديرة

١) تاريخ اوسابيوس ك ٩ ف ٦ ص ٥٢١

انطاكية ثم توجه الى مصر على ما روى اغلب المؤرخين الشرقيين اذ قالوا « بعد ما عُزل نسطور نُفي الى صعيد مصر» . وقال الشيخ ابو صالح الارمني (ص ١٠٦) : وقُبر نسطور المخالف الذي كان بطريرك القسطنطينية في مدينة أخميم منفياً اليها بعد سبع سنين في سنة ٥٣١ (كذا) واذا مطرت المطر تحجب عن قبره ولا تنزل عليه . . . » وروى ميخائيل الكبير (ص ١٧٥) وابن العبري في عهد يزحنا بطريرك انطاكية : «ان نسطور نُفي بأمر الملك الى مدية اودسيا بمصر» . وقال ابن العبري في تاريخه المدني السرياني (ص ١٣٥) : «اشتهر جبرائيل بن بختيشوع الطبيب النسطوري في عهد هرون الرشيد (٧٨٦–٨٠٩) واتفق ان احد النساطرة الذين زاروا مصر قال يوماً لجبرائيل المذكور : ان يعاقبة مصر يسخرون من نسطور ويرجمون قبره ويدّعون ان المطر لا ينحدر عليه . فقصد جبرائيل الخليفة واستحصل منه رسالة الى صاحب مصر يوصيه ان يسعى بارسال عظام نسطور الى بغداد لتُدفن في كنيسة كوخي الكبرى»

وكتب المقريزي (ص ٤٨٨) ان نسطور نفي الى صعيد مصر فنزل مدينة اخميم واقام بها سبع سنين ومات فدُفن بها» وأيّد ذلك ابن العميد ايضاً في تاريخه (ص ٣٦ من نسختنا)

على ان بدعتي اريوس ونسطور ما لبثتا ان انتشرتا في القطر المصري وقاومت مقامها البدعة المنوفستية وانتشرت انتشاراً عظيماً وقويت شوكتها وما برحت قائمة في مصر حتى اليوم . وكان ديوسقورس منشئها (ص ٤٤٤) ومبتدعها يناضل عنها ويسعى في نشرها وتبعه في رأيه هذا الشعب السرياني في سورية وما بين النهرين ومنذ ذاك اصبحت اللاتق ما بين الاقباط والسريان موثقة العرى غير منفصمة . ولما عُزل سويرا بطريرك السريان الانطاكي توجه الى مصر عام ٥١٩ واقام فيها تسع عشرة سنة يطوف مع بعض الاساقفة ويجول من دير الى دير ويتنقل من مدينة الى مدينة حتى أتته المنون في بسكوت بالاسكندرية في ٨ شباط ٥٣٨ وقد ورد في المخطوطات السريانية انشودة يتداولها السريان اليعاقبة هذا شرحها : « يا مصر قومي رحّبي بسويرا المنفيّ من بلدهُ وافتحي له ابوابكِ واكنفي شوارعكِ ليدخل اليك ويطرد منك تعليم نسطور الوقح» لكن مصر لم يتلها خير كبير بشيوع بدعة اوطيخا بدلاً من نسطور وبعد وفاة سويرا نصب السريان المنوفستيون يعقوب البرادعي استف الزهما

مطراناً عمومياً فاخذ يطوف بلاد سورية يذيع فيها الزعم بالطبيعة الواحدة. ثم ارتحل الى وادي النيل ورسم بيده في الاسكندرية فولا الحبشي بطريركاً للسريان ٥٤١—٥٧٥

وكان فولا اسكندري الاصل وتلقى العلوم في دير الجبّ الخارجي في انطاكية وأتقن اليونانية والسريانية. ولما رسم بيده ثاودورَ بطريركاً للاسكندرية امتعضَ المصريون واستحضروا مطرانين وارادوهما على نصب فطرا او بطرس الجاهل بطريركاً دخيلاً. فنتجت من جرى ذلك شرور عظيمة استفرقت ثمانية أعوام وأسفرت عن انقسام المصريين الى فرقتين فرقة مشايعة لثاودور وفرقة لفطرا وأفضى البغض بفطرا الى ان حرم فولا بطريرك انطاكية واسرع فرسم سبعين مطراناً في ايام معدودة ومات لثلاث سنين من بطريركيته. اما اهل الاسكندرية فأصرّوا على رفض ثاودور البطريرك واقاموا دميانس السرياني النحلة بطريركاً عليهم وما كاد يتربّع في كرسيه حتى حرم فولا بطريركَ انطاكية كما حرمهُ سالفُهُ ايضاً وعوّل على اقامة بطريرك عوضاً عنه. غير ان الاساقفة ثبّطوه عن انجاز أُمنيّته. وفي تلك الغضون عاد يعقوب البرادعي ثالث دفعة الى الاسكندرية متجسّماً ومتحفّظاً يصحبه توّابهُ وجماعة من الاساقفة اصحابه ونزلوا سنة ٥٧٨ في دير مار رومانس فتوفي بغتةً يوحنا اسقفُ قرتمين فسرجيسُ وكيل يعقوب فشمّاسهُ. على ان هؤلاء الاربعة وهم عمدة المتوفستيين عاجلتهم المنيّة في مدة عشرة ايام لا غير. وعلى اثر ذلك كتب دميانس السرياني بطريرك الاسكندرية رسالة تعزية اوفدها الى اساقفة سورية وجماعتهم وحرّضهم على قبول البطريرك فولا الحبشي. ثم توجّه بنفسه الى انطاكية في اثنين من اساقفته يريد ان يرسم سويرا الاشمونيني بطريركاً للسريان في كنيسة مار بطرس غير انه لم يستطع الى ذلك سبيلاً فانقلب الى الاسكندرية خائباً.

ثم كتب دميانس البطريرك الاسكندري رسالة الى بطرس القلّيقي بطريرك السريان الانطاكي (†٥٩١) فيها دحض ارتقة يوحنا وفروبا وسأل بطرس البطريرك ان يؤيد قوله فأبى عليه ذلك. فاستشاط البطريرك دميانس غضباً وحنقاً عليه ولبثت المنازعات بينهما قائمةً على قدم وساق حتى وفاتها. ولما تولّى بطريركية السريان اثناسيوس الجمّال (٥٩٥—٦٣١) عادت المياه الى مجاريها وحصل الاتفاق التامّ ما بين الكرسي

الاسكندري والانطاكي كما سترى. وعلى هذا الاسلوب تغلّب اليعاقبة على جميع كنائس مصر واقاموا بها منهم اساقفة. فارسل اليهم اهل بلاد النوبة في طلب اساقفة فبعثوا لهم . فصار اهل النوبة من ذلك العهد يعاقبة(١ . وقد أيد ذلك ابن العبري في كلامه عن سرجيس التلي(† ٥٤١) بطريرك السريان المنوفستيين قال ما شرحه :« لم يكتفِ السريان بإذاعة مقالتهم في القطر المصري بل ارفدوا القس يوليان شماس ثاودسيوس بطريرك الاسكندرية الى بلاد الحبشة فاذاع فيها بدعة الطبيعة الواحدة وبذر في القلوب البغضاء للمجمع الخالقيدوني وظلّ ثمّ سنتين يقصد الصهاريج ويمتد الناس كل يوم من الساعة الثالثة الى العاشرة حتى تنصّر على يده ملك الحبشة وأرباب دولته وخضعوا باجمعهم للبطريرك الاسكندري(٢ ». فاذا صدقت هذه الرواية كان الفضل في تنصّر الحبشة وإخضاعهم لبطريرك الاسكندرية عائداً ايضاً الى السريان .

٥ : كتبة السريان المنوفستيين في القطر المصري

ولما تغلّبت المنوفستية في الاقطار المصرية على ما رأيتَ عادت ائمة السريان يتوافدون الى الاسكندرية ليستقوا من مناهل مكتبها الشهيرة ويُمعنوا فيها اللغة اليونانية وسائر العلوم الرياضية والتاريخية واللاهوتية. وقد تضلّع اغلبهم من هذه اللغة بحيث اننا لا نكاد نرى كاتباً سريانياً منوفستياً الا وله إلمام بها. واليك اسماء بعض الكتبة السريان الذين قصدوا تلك المدينة واستفادوا من أسفارها او قرأوا على علمائها

فمنهم اسطفان بر صُدَيلي(٣ الإهاوي الذي قصد مصر وتخرّج بالعلوم والمعارف ثم سار الى اورشليم وعاد الى وطنه وصنّف مقالات وشروحاً كثيرة ونقل كتاب هيرونايوس وما زالت ترجمته محفوظة في دار الكتب الكبرى بلندن وفي المكتبة الشرقية في بيروت . وهو الذي اشتهر بزعمه ان اعذابات جهنم نهايةٌ فدحض اوهامه العلّامة يعقوب السروجي († ٥٢١) وفيلكسين المنبجي († ٥٢٣) .

---

١) المقريزي (ص ٤٩٣)

٢) التاريخ الكنسي في حياة سرجيس التلي

٣) روى اسمه ميخائيل الكبير هكذا ([illegible])

ويُروى انَّ آبا جاثليق السريان النساطرة (٥٣٦-٥٥٢) توجّه في العلّامة توما الرهاويّ الى الاسكندرية ومصر حيث فسّرا الكتبَ المقدسة وتلمذا جملةً من الوثنيين والمنوفستيّين فضغن عليهما الاهالي وطردوهما

وجاء عن مارا اسقف آمد السريانيّ المنوفستيّ انهُ لما نُفي الى بلاد العرب سنة ٥١٩ سأل الملكة ثاودورا ان ينتقل الى الاسكندريّة سنة ٥٢٦ فاكبّ فيها على العلوم وفسّر العهد الجديد وفيها قضى نحبهُ

وورد في مخطوط لندن (عدد ٨٥٢ ص ٩٠٧) ان قولا الاسقف السريانيّ المنوفستيّ الذي اشتهر سنة ٥٢٨ « ترجم الكتب المقدّسة ونقلها من اليونانيّة الى السريانيّة » وقيل بل ان قولا المذكور ترجم العهد القديم وتوما الحرقليّ ترجم العهد الجديد . ويُستفاد من مخطوط لندن (عدد٥٣) المنسوخ سنة ٧٠٣ م « ان الكتاب المقدّس نُقل عن الهكسَبْلة اليونانيّة (١ الى السريانيّة في شباط سنة ٦١٦ م في دير الانطونيين بقرية اناطرن قريباً من الاسكندريّة ذلك بامر البطريرك اثناسيوس († ٦٣١) ومشورته وفي عهد ثاودور رئيس الدير »

وفي الاسكندريّة ايضاً درس زكريّا البليغ اسقف ملطية السريانيّ نحو سنة ٥١٥ وكان مولده في قرية قريبة من غزّة بفلسطين وقرأ النحو والفصاحة في الاسكندريّة وزاول علم الشرع في بيروت وصنّف تاريخاً سريانيّاً مهمّاً اقتطف منهُ مؤرّخو السريان اخباراً كثيرة واتخذوهُ قاعدة لتأليف تواريخهم

وارتحل الى الاسكندريّة توما الحرقليّ السرياني اسقف منبج واقام زماناً في دير الانطونيين حيث اكبّ على تنقيح كتاب العهد الجديد سنة ٦١٦ (٢ وهذه الترجمة اشتهرت لدى السريان المنوفستيين واستعملوها في طقوسهم . واستصحب توما الحرقلي جملة من اساقفة السريان الى مصر واقاموا فيها مدّةً ثمّ عادوا الى كراسيهم (٣

---

١) الهكسبلة (Hexaple) كتاب لاوريجانس جمع فيهِ ستّة نصوص من الاسفار المقدّسة ليقابل بينها

٢) في المكتبة الارغسطينيّة برومية نسخة من هذا السفر ورد فيها ما ترجمهُ : نُقل كتاب الاناجيل الاربعة بدقّة من اليونانية الى السريانية في ايام فيلكسين اسقف منبج . وقابلتهُ انا توما بثلاث نسخ يونانية في دير الانطونيين بالاسكندريّة العظمى سنة ٦١٦ م

٣) تاريخ ميخائيل الكبير (ص ٣٨١)

وقصد الاسكندريَّة ايضاً يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) المشهور وأتقن فيها اليونانيَّة ثم عاد الى سورية وارتسم مطراناً للرها سنة ٦٧٧ ودرّس اليونانيَّة في دير اوسيبونا بانطاكية احدى عشرة سنة

وتوجّه الى الاسكندرية ايضاً الربّان حنين بن اسحق (+ ٨٧٣) السرياني النسطوري وكان مولده في الحيرة وقصد بغداد وقرأ على يوحنّا بن ماسويه ثم ارتحل الى الاسكندرية وبرع في اليونانيَّة حتى استسهل النقل منها الى السريانية ومن السريانيَّة الى العربية وصنَّف كتباً شتى أخصُّها كتابه في الطب

وكان كتبة السريان وأدباؤهم يوفدون الى وجهاء الاسكندرية رسائلَ بالسريانيَّة ليؤيّدوهم في المنوفستيَّة. ومن جملتهم يعقوب السروجي العلّامة الذي كتب رسالة الى القنّاص باسّا ورسالة الى قورا الرئيس والقنّاص على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٦٧٢ ص ٥٢٣) وهو يتضمّن احدى واربعين رسالة وستّ خطب صنّفها كلّها بالسريانيَّة يعقوب السروجي المرسأ اليه ونسخها يوسف الداراويّ سنة ٦٠٣ م في برية الصعيد. وقد ورد في مخطوط لندن (عدد ٨٥٢ ص ٩٦٢) ذكر رسالة وفدها بطريرك السريان (١) الى دير الانطونيّين والى اليسبدور وثيودور ورسالة أخرى وفدها البطريرك عينه الى جماعة الاسكندرية (لهُ صلة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثامن

رقيّ بيروت في عهد الرومان

دخل الرومان بلاد الشام سنة ٦٤ ق م واستولى قائدهم بمبيوس على اقطارها

(١) لعلّه اثناسيوس الجمّال (+ ٦٣١)

وقصد الاسكندريَّة ايضاً يعقوب الرهاوي (+ ٧٠٨) المشهور وأتقن فيها اليونانيَّة ثم عاد الى سورية وارتسم مطراناً للرها سنة ٦٧٧ ودرّس اليونانيَّة في دير اوسيبونا بانطاكية احدى عشرة سنة

وتوجّه الى الاسكندرية ايضاً الربّان حنين بن اسحق (+ ٨٧٣) السرياني النسطوري وكان مولده في الحيرة وقصد بغداد وقرأ على يوحنّا بن ماسويه ثم ارتحل الى الاسكندرية وبرع في اليونانيَّة حتى استسهل النقل منها الى السريانية ومن السريانيَّة الى العربية وصنَّف كتباً شتى أخصُّها كتابه في الطب

وكان كتبة السريان وأدباؤهم يوفدون الى وجهاء الاسكندرية رسائلَ بالسريانيَّة ليؤيّدوهم في المنوفستيَّة. ومن جملتهم يعقوب السروجي العلّامة الذي كتب رسالة الى القنّاص باسّا ورسالة الى قورا الرئيس والقنّاص على ما ورد في مخطوط لندن (عدد ٦٧٢ ص ٥٢٣) وهو يتضمّن احدى واربعين رسالة وستّ خطب صنّفها كلّها بالسريانيَّة يعقوب السروجي المرسأ اليه ونسخها يوسف الداراويّ سنة ٦٠٣ م في برية الصعيد. وقد ورد في مخطوط لندن (عدد ٨٥٢ ص ٩٦٢) ذكر رسالة وفدها بطريرك السريان (١) الى دير الانطونيّين والى اليسبدور وثيودور ورسالة أخرى وفدها البطريرك عينه الى جماعة الاسكندرية (لهُ صلة)

بيروت

تاريخها وآثارها

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

البحث الثامن

رقيّ بيروت في عهد الرومان

دخل الرومان بلاد الشام سنة ٦٤ ق م واستولى قائدهم بمبيوس على اقطارها

(١) لعلّه اثناسيوس الجمّال (+ ٦٣١)

ثمّ ضبط ايضاً سواحلها وجعل فينيقية احد اعمالها مبيداً لسلطة السلوقيين فيها . وكان ملكهم آنئذٍ انطيوخس الثالث عشر الملقّب بالآسيويّ وكان ضعيف الهمّة خائر القوى فلم يجسر ان يقوم في وجه الرومان

وكأنّ الرومان عرفوا ما تستحقّهُ بيروت من الرعاية وانها قابلةٌ للرقي فوجّهوا اليها منظرهم واخذوا يزينونها بالبنايات الفخمة المتنوعة . وممّا حدا بهم الى ذلك انّ الفينيقيّين كانوا يعتبرونها مدينةً مقدّسة خصّوها لاكرام البعل المسمّى على اسمها بعل بيروت او بعل بريت وقد اقاموا لهُ هيكلاً كبيراً على الجبل المشرف على مدينتهم في بيت مري وهو هيكل دير القلعة المكرّس لبعل مَرْقد الذي كان الفينيقيّون يحجّون اليهِ ثم حسّنهُ الرومان وزادوا في ابنيتهِ واعتبروهُ هيكلاً لجوبتر البعلبكيّ

ولمّا صار الامر لاوغسطوس قيصر خصّ بيروت بألطاف وهبات لم ينعم بها على غيرها . فولّى عليها القائد مرقس وسبسيانوس اغريبا بعد ان أزوجهُ بابنتهِ جوليا . وكان صهره مولعاً بالابنية الفخيمة . فلمّا تقلّد ولاية بيروت شملها بسوابغ النعم وجعلها من المدن الاوّليّة الراقية واستدعى اليها فرقتين من الجيوش الرومانية احتلّتا فيها وهما الفرقة الخامسة المعروفة بالمقدونيّة (Legio Macedonica) والفرقة الثامنة المنسوبة الى اوغسطوس قيصر (Legio Augusta) فأضحى لها ذلك ميزةً على بقيّة المدن الساحليّة . ثم منحها اوغسطوس امتيازات المستعمرات الرومانيّة وخوّل اهلها حقوق الوطنيّة وكان ذلك السنة ١٥ ق.م وسمّاها باسم ابنتهِ جوليا (Colonia Julia Augusta Felix Berytus) اي مستعمرة جوليا اوغسطا السعيدة بيروت وضرب باسمها نقوداً بيروتية على هذه الصورة(١ . وقد وجدت كتابات حجريّة على الصورة عينها وكذلك ورد في تاريخ پليني الطبيعي (٢ ما يؤيد الامر فانهُ قال عن بيروت : « انها مجاورة نهر ماغوراس الجاري اليها من لبنان وهي مستعمرة تُدعى باسم جوليا السعيدة »

ولمّا رأى هيرودس الكبير ملك اليهود محبّةَ اوغسطوس لبيروت سعى هو ايضاً

١) اطلب مجموعة الكتابات اللاتينية CIL, n°° 161 etc

٢) اطلب كتابهُ Plinius : Hist. Nat. V, 17

الى تحسينها . وقد اخبر يوسيفوس في تاريخ الحرب اليهودية(١ انهُ شيَّد في بيروت النوادي الواسعة والأروقة الرحبة والهياكل والاسواق الفاخرة والحمامات والمخازن التجارية . فتقاطر الى بيروت كثير من الرومانيين والاجانب فاستوطنوها وزادت بهم حسناً وعمراناً . وفي مجلس بيروت جمع هيرودس محفلاً من الفقهاء والاعيان لمحاكمة ولديه اسكندر وارسطابولس ابني زوجتهِ مَرِيَمْنة المكابيَّة فحكم عليها بالموت وقتلها ظلماً (٢

وورث هيرودس اغريبا الاول وهو حفيد هيرودس الكبير حبَّ جدهِ لبيروت فزانها ببنيانٍ جديدة وصَفَّها يوسيفوس المذكور في تواريخهِ (٣ فقال انَّ هذا الملك بالغ في اكرام اهل بيروت فشيَّد لهم مسرحاً كان يفوق على مسارح مدن كثيرة بجمالهِ وفخامتهِ وكذلك بنى لهم ميداناً فخماً وملعباً للحيوانات ومعاهد اخرى لم يدَّخر في بنائها شيئاً من مالهِ ليبلغها من المحاسن اجلَّها . وبعد إنجازها دعا الاهلين الى تدشينها فاقاموا لذلك مواسم واعياداً حفلة الفتن في ترويجها البالغ الوافرة فتَّلوا في المسرح التي احتفلت وتعدَّدت فيه الملاهي وعزفت اصناف الآلات الطربية وتفكيهاً للحضور حكم على ١٤٠٠ من اصحاب الجنايات بان ينقسموا قسمين يقاتل بعضهم بعضاً ففعلوا حتى قُتلوا عن بكرة ابيهم . وتمَّ ذلك في الميدان الذي اعدَّه لتلك المبارزات القبيحة والمظنون انَّ موضع هذا المشهد كان على شاطئ البحر بقرب بناء الحصن المعروف بخان الصاغة حيث يُرى شيء من آثارهِ باقياً الى اليوم

وفي هذا الميدان نفسهِ نادى الجنود الرومانيُّون بقائدهم ڤسپيانوس امبراطوراً بعد وفاة نيرون فبايعهُ امراء الجيش والولاة وسار من هناك الى رومية ليتولى فيها زمام الملك . وفي الميدان عينهِ احتفل ابنهُ طيطوس بعيد مولد ابيهِ بعد فتحهِ لاورشليم بما لا مزيد عليهِ من الأبهة والمجد وامر بقتل جمٍ غفير من اسرى اليهود ارضاء وتفكيهاً للشعب

ثم خلف هيرودس اغريبا الاول ابنهُ هيرودس اغريبا الثاني فولاَّه الرومان

---

١) راجع كتابهُ Fl. Josephus. B.J. XXI, 11

٢) اطلب كتاب يوسيفوس الماديات اليهودية id. Ant. Jud., XV et XVI

٣) في تاريخ الحرب اليهودية B. J. VII, 5

قسماً من سوريّة المجوّفة اي بلاد البقاع التي كانت حاضرتها عَنجر المعروفة سابقاً باسم كلسيس (Chalcis) مع بلاد البثنيّة شرقي دمشق. فجرى على مثال والده في تزيين مدينة بيروت بالآثار الجميلة مع انها لم تكن داخلة في تخوم مملكته فنصب فيها التماثيل ونقل اليها صور مشاهير القدماء من انحاء المملكة وشيّد فيها ٦٤ ناديًا جديدًا منها بناية المجلس البلدي التي يُستدلّ على شيء من آثارها عند باب الدركة بقرب رجال الاربعين واقام في مسرحها المشاهد السنويّة فصارت الملاعب والاعياد تحاكي في بيروت مواسم رومية ذاتها. وكان يوزّع على البيروتيين بسخاء القمح والزيت حتى اسرف في ذلك ولامه اهل دولته لبذله خزائن المملكة في سبيل مدينة خارجة عن حكمه(١

وقد بقي من تلك المباني العجيبة الى يومنا آثار تنبئ بعظم شأنها أخصّها اعمدة وسوار ضخمة ورؤوس أكلة منبثّة في انحاء المدينة او غائصة في بعض سواحل البحر وربّما يستخرجونها بالحفر عند فتح السكك. وكان عددها يبلغ الالوف في القرون السابقة كما يشهد على ذلك السيّاح في رحلاتهم

وما لا شكّ فيه انّ بيروت كانت مزدانة في عهد الرومان بأروقة مشيّدة على سوار ضخمة كانت تمتدّ على طول المدينة وتبلغ الى نهرها فيتجوّل الناس في ظلها صيفاً وشتاء. ومنها الآثار السابق ذكرها

وقد بقي من عهد الرومان في بيروت كتابات مختلفة منها مدفنيّة يرقى بعضها الى القرون الاولى للنصرانية باليونانيّة واللاتينيّة على بعضها رموز نصرانيّة كالصليب وسعف النخل ومنها مدنيّة وادارية كالانصاب الدالّة على مسافات الطريق الرومانيّة (milliaires) وكالآثار لشكر الآلهة لنعمة نالها عبدتهم او لمديح بعض الرؤساء(٢. ومعظم تلك الآثار لاسيما الأعمدة التي كانوا يزينون بها الهياكل والنوادي العموميّة كانت من الحجر المخبّب المعروف بالغرانيت كانوا يجلبونهُ من مصر بضاعة كبير. وبعضها من الرخام الوطنيّ الذي تُرى الى يومنا مقالعه في الجبل

١) تاريخ الحرب اليهوديّة B. J., XX, ix. 4

٢) اطلب مجموعة المكتب الشرقي MFO II², 535-540

البحث التاسع

ديانة اهل بيروت

سبق انّ للفينيقيين مزاعم خرافيّة تجعل بيروت كاحدى مدنهم المقدّسة وكان إلههم الكبير البعل خصّوا عبادتهُ بسمة وطنيّة تفرزه عن عبادة المدن الساحليّة الاخرى. فكانوا يعبدونه تحت اسم بعل بريت مرجعهُ الى البعل الاعظم كبير آلهة الفينقيين وانّما خصّوه في كل مدينة بصفات لم يُعرف بها في سواها. وان استقصينا البحث عن ذاك المعبود الاصلي ظهر لنا جليًّا انّا المَعْنيّ به الطبيعة الهيولية بكل قواهـا فتُبدع وتُفني وتنشئ وتلاشي وتُحيي وتُميت. وكثيرًا ما تخيّلوا انه الشمس الفلكيّة فاقاموا لها مواسم الافراح في الربيع عندما تعود الطبيعة الى حياتها فتحييها بواسطة حرارتها. ولذلك اتّخذوا ايضاً النـار رمزًا عن الاله الشمس فعظّموها كاحد اركان الطبيعة وقدّموا لها الذبائح والقرابين المختلفة بل لم يأنفوا ان يضحّوا اطفالهم الصغار لاكرامها وارضائها

واذ كان الفينيقيون يعتبرون البعل ذا مبدأين ممتازين احدهما فاعلٌ والآخر مفعولٌ جعلوا الفاعل ذكرًا والمفعول انثى. وكما ان البعل كان لديهم كالاله العظيم كذلك اعتبروا عشتاروت كالإلهة الكبرى وربما أضافوا اليهـا إلهًا ثالثًا يدعونهُ طورًا ملكرت وتارة اشمون واحيانًا تموز او أدونيس

ولمّا رسخ قدم الرومان في سواحل فينيقية ورأوا فيها معبودات الفينيقيين لم يشاؤوا ان يعترضوهم في عبادتهم وانّما ذهبوا الى أنّها هي هي معبودات الرومان. ولنا على ذلك دليل محسوس في هيكل دير القلعة الـذي كان مزارًا لاهل بيروت ومحجّهم الرسمي ففيه كان للفينيقيين معبدٌ كبير تُرى اثارهُ باقيـة حتى اليوم وهنـاك عبدوا البعل المسمى بعل مَرقد اشتقاقاً من لفظة فينيقيـة معناهـا الرقص واللهو كانهم كانوا هناك يجتمعون ليستسلموا الى الملاهي والقصف

فلما استولى الرومان على برّ الشام اعتبروا هذا المعبود كالههم الاكبر وهو جوبتر اي المشتري. والدليل عليه كتابات شتى ذُكر فيها المشتري بعل مرقد كأنّ الاسمين لمسمًّى واحد

Maximo. Optimo. Jovi. Balmarcodi.

وكذلك اعتبر الرومان الآلهة الفينيقية عشتروت كالهتهم المسماة جونون المدعوة عندهم إلهة السماء. وكان الفينيقيّون ايضاً يسمّون عشتروت ملكة السماء. نصّ على ذلك سفرُ ارميا النبي (ف ٧ ع ١٨) ومن الادلّة على الامر كتابات عديدة لاتينيّة وُجدت في دير القلعة ورد فيها مصرّحاً اسم «جونون» وقد اعتبروا في كتابات غيرها عشتاروت كالزُهرة المسماة عندهم ڤانوس (Vénus) يؤيد ذلك كتابتان وُجدت الواحدة قرب الشويفات والاخرى في جبلك ورد فيهما مع جوبيتر اسم ڤانوس ليس جونون. وفضلاً عن ذلك جاء في هاتين الكتابتين اسم الإله ثالث به يتم عدد الثالوث البعلبكي الذي كان يُعبد ايضاً في دير القلعة وهو الاله مزكور اي عُطارد. وقد اثبت ذلك حضرة الاب لويس جلابوت في مجموعة المكتب الشرقي(١ والاديب الفاضل ميخائيل افندي موسى الوف في دليل بعلبك. أمّا اسم هذا الالهُ الثالث عند الفينيقيين فلم يُعرف صريحاً حتى الآن (راجع مجلّة المشرق السنة العاشرة (١٩٠٧ ص ١٥٨–١٦١)

وكان لكل هذه المعبودات اعياد مختلفة في فصول السنة يحتفل بها الفينيقيّون عموماً والجبيليّون والبيروتيّون خصوصاً. وقد وصفها الاب هنري لامنس في كتابه تسريح الابصار في ما [illegible] من الآثار

على ان هذه الاديان الكاذبة اندثرت مع ظهور المسيح في الحضور والتجهّر ولدينا عدة شواهد تثبت كون بيروت نالها عاجلاً شيء من انوار الدين المسيحي منذ اول ظهور النصرانية. ففي تقليد قديم اثبتهُ الراهب الدومنيكاني بُرخارد في القرن الخامس عشر وقبلهُ كاتب الماني يدعى بَرْيتباخ (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٨١–٩٨) يلوح منهُ بان السيد المسيح بلغ حتى ثغر بيروت لما بشّر بالانجيل في تخوم صور وصيداء كما روى الانجيليّان متى (١٥ : ٢١) ومرقس (٧ : ٢٤).

وقد بحث في هذه المسألة الاب ألفرد دوران اليسوعيّ في غضون وصفهِ لرحلة السيد المسيح الى فينيقية والمدن العشر (المشرق ١١ [١٩٠٨] : ٣١) فادّعى ان السيد المسيح دخل ثغر بيروت واثبت ذلك استناداً الى آية القديس مرقس حيث يقول في انجيله (٧ : ٣١) انّ يسوع بعد خروجه من صور «مرّ في صيداء وجاء فيما بين المدن العشر الى بحر الجليل» فبيّن انّهُ لم يرجع القهقرى ليذهب الى المدن العشر لكنّهُ

(١ اطلب Mélange de la Fac. Orientale

ذهب توًّا اليها على طريق مستقيم فقطع لبنان على السكّة الرومانيّة التي كانت تؤدي من بيروت الى دمشق . وبهِ يزيد رجوح التقليد الراوي لدخول السيد المسيح في بيروت. فتكون عاصمة لبنان نالها شرف خاصّ ينظمها في جملة الاراضي المقدّسة

وما لا شبهة فيهِ انّ الرسل الحواريين في اسفارهم الى انطاكية وعودتهم منها لاسيما بطرس الصفا وبولس الرسول اجتازوا في بيروت غير مرة. ولا يقبل العقل انهم اهملوا دعوة اهلها الى النصرانيّة . وفي المنقولات عن قدماء المؤرّخين انّ بطرس الهامة عند مرورهِ ببيروت جعل عليها اسقفاً يدعى كوارتوس (Quartus) وهو المذكور في رسالة بولس الى اهل رومية (١٦ : ٢٣) وكانت اسقفية بيروت خاضعة في اوّل امرها لكرسي صور لكنّ رقيًّا في الحضارة وشهرتها في العلوم دعت ملوك برزنطية الى الانعام عليها فجعلوها كرسيًّا مطروفوليطيًّا وذلك في اواسط القرن الخامس بفضل الملكين ثاودوسيوس الثاني المعروف بالصغير وفالنتينان وألحقا بها اساقفة جُبيل والبترون وطرابلس وعَرقة وطرسوس . ومما يشهد لرقي النصرانيّة في بيروت ما ورد في تاريخ ساويرس الانطاكي لزخريا المعروف بالخطيب حيث يروي انّ في تلك المدينة كانت ستُّ كنائس مسيحيّة الواحدة منها باسم الرسول يهوذا او تَدّاوس احد تلاميذ المسيح وزعموا انه استشهد في بيروت. وقيل بل هو يهوذا احد السبعين تلميذًا

وتشيّدت احدى تلك الكنائس تذكارًا لحادث ذكره صالح بن يحيى في تاريخ بيروت ثم صارت بعدئذٍ في ايدي رهبان الفرنج قال صالح (ص ١٧) : « ويزعمون ايضاً انهُ كان بكنيسة الفرنج ببيروت قونة خشب فيها صورة مصوَّرة ضربها بعض اليهود بسكّين فصارت تنزف دماً ثم نقلت هذه الصورة الى القسطنطينيّة فمنعوا عليها كنيسة يعظمها الفرنج ». يشير صالح الى معجزة جرت على ما زعموا في القرن الخامس وخبرُها مدوَّن في مجلة اعمال القديس اثناسيوس بطريرك الاسكندريّة . والصواب انّ كاتبهُ راوٍ اخر سيئُهُ عاش بعده . وفي اعمال المجمع النيقاوي الثاني ورد ذكر هذه الايقونة التي كانت اولًا ببيروت ولها عيد يُحتفل بهِ في كنائس الشرق والغرب ويذكرهُ السنكسار الروماني ويعيّنهُ في ٩ من تشرين الثاني . والمرجح انها لم تكن ايقونة بل صليباً وقد يدّعي اهل بَلَنسية في اسبانية انّ ذلك الصليب لا يزال عندهم يكرمونهُ الى ايامنا هذه وقد اثبتنا في مجلّة المشرق تفاصيل خبرهِ (لهُ صلة)

قصيدة

في مدح ابراهيم باشا المصريّ

توطئة

في مكتبتنا الشرقيّة مخطوط صغير طولهُ ٢٠ سنتمترًا في عرض ١٣ من مجلد بمُقوّى (كرتون) احمر مع شقّة من الورق الملوّن. لا تتجاوز صفحاتهُ ستّ صفحات وجدناهُ في المكتبة الخديويّة في دمشق سنة ١٨٨٧ فاشتريناهُ. اما مضمونهُ فقصيدة قيلت في مديح ابراهيم باشا المصريّ لمّا فتح سوريّة سنة ١٨٣١ وهي قصيدة عامرة الابيات متينة التركيب تبلغ ٦٨ بيتًا قد كُتبت في مخطوطنا بخطّ نسخيّ بديع بالحرف الاسود مع شروح لبعض الفاظها في خلال الابيات بالحرف الاحمر على ورق صقيل ابيض ضارب الى الاصفرار. اما تاريخها فلم يدوّن في اوّلهِ ولا آخرهِ وانّا يرجّح ان صاحبها انشدها ابراهيم باشا ابن محمّد علي عند فتحهِ الشام في سنة ١٨٣٢ او ١٨٣٣. وكذلك لم يتّضح لنا اسم ناظم هذه القصيدة ما لم يكن المسمّى «ابن محمّد العطّار» الذي طُبع خاتمهُ في صدر الكتاب وفوق الخاتم بالحبر الاحمر «ملكة ابن العطّار» ولا نعلم من امرهِ شيئًا. وعلى كلّ حال رأينا ان ننشر هذا الاثر الادبيّ والتاريخيّ لئلّا تأخذهُ يد الضياع وفيهِ اشارة بيّنة الى انتصار ابراهيم باشا على جزيرة العرب ل. ش

الله اكبرُ جاء النصرُ والظفرُ ... والأمنُ واليُمنُ لمّا ساعدَ القدرُ
واخضرَّ روضُ الأماني فهي حاليةٌ ... كأنّما جرَّ فيها ذَيلَهُ الخضِرُ(١
وأشرقَ المجلسُ المسعودُ طالعهُ ... بطلعةٍ عن سَناها الطَّرفُ ينحسرُ
اعني الوزيرَ الذي أعتابهُ وَزَرٌ(٢ ... بهِ الوزارةُ كالعلياء تفتخرُ
اذ للوزارة ناموسٌ بهيبتهِ ... أحياهُ لمّا رآهُ وهو محتضرُ(٣
ما زال منذُ غدا التوفيقُ يصحبهُ ... لبيضةِ المُلكِ والاسلامِ(٤ ينتصرُ

١) الحالية المزيّنة. والخضر البقول ٢) الوَزر الملجأ
٣) يقول انّ للوزارة مقامًا جليلاً كاد قبلهُ يتلف فأحياهُ
٤) بيضة الملك والاسلام حوزتهما

العدلُ يُنشَرُ في ديوانهِ ابدًا والشرعُ يأمرُ والصَّمصامُ ينتظرُ
والحقُّ يعلُو على الاخصامِ قاطبةً والعلمُ مُحترَمٌ والمالُ محتقَرُ
مَن يَغرسِ العدلَ يَجنِ النصرَ عن ثقةٍ والعدلُ يُثمِرُ ما لا تُثمر الشجرُ
تعظيمهُ العلمَ عن فضلٍ ومعرفةٍ ما عظَّمَ العلمَ الَّا مَن لهُ خطرُ
كَمْ في السماء نجومٌ طال ما أَفلتْ وللعلوم نجومٌ ليس تَنكدِرُ(١
صدرٌ ولا ضَجَرٌ فِكرٌ ولا حَصَرٌ نُطقٌ ولا هَذَرٌ مجدٌ ولا بَطَرُ
معارفٌ صدرَتْ عنها عَوارِفُهُ إذْ صَدرُهُ البحرُ لكن لفظُهُ الدررُ
الفاظُهُ وزُلالُ الماء بينها تمازُجٌ ونسيمُ الرَّوضِ والسَّحَرُ
لا يستطيع انصرافاً عن تأمل ما يُملي ويُكتبُ لا سَمعٌ ولا بصرُ
يَطوي محاسِنَهُ والطيُّ يَنشرها كما تَبَرَّجَ(٢ في أكمامهِ الزَّهَرُ
مفاخرٌ ليس يُخفيها تواضُعُه وللصباحِ ظُهورٌ ليس يُستترُ
ذِكرى مناقبهِ في شرح سيرتهِ مطوَّلٌ لكنِ التَّخليصُ مختصرُ
ان طالعتْ كتبَهُ اعداؤُهُ كَسَرتْ فِقارَ أظهُرهم من خوفهِ الفِقَرُ(٣
من كلِّ معنًى بديوانٍ يقومُ لهُ قلبُ المُخاطَبِ اجلالًا وينفطِرُ
حصنُ العُقابِ غدا من خوفِ سطوتهِ يَرتجُّ من قبل ان تنتابهُ النُّذُرُ(٤
فسلَّموهُ واخفى الجِرسَ هاربُهم انْ صرصرَ البازُ اخفى سَجعَهُ النُّغَرُ(٥
وفرَّ قعدانُ والاقوامُ تَعذُرُهُ اذ فرَّ من أسدِ غضبانَ يَنتصِرُ(٦

---

١) أَفلَتْ اي غابت ويقال انكدرت النجوم اذا تناثرت
٢) تبرَّج تباهى وازدانَ ٣) فِقَر الكتاب مقاطيعهُ وسجعاتهُ
٤) حصن العُقاب كانَ في جهات نجد احتلَّهُ ابراهيم باشا
٥) الجِرس الصوت الخفيّ. والنُّغَر البلبل وفرخ العصفور
٦) قَعدان احد امراء العرب هزمهُ ابراهيم باشا. وامتصَرَهُ كسرَهُ

يهتزُّ في جفنه والدارُ نازحةٌ شوقاً الى وَدَجَيْهِ الصارمُ الذكرُ(١
قد كان في صيتهِ للقوم موعظةٌ ليت السفيهَ بغير السيفِ يتزجرُ
تخاطفوا بينهم إذ زارَ ارضَهمُ بالدارعين فلمْ صَلُّوا(٢ لما جهروا
إنْ سرَّ منهُ خيالٌ في خواطرهمْ ذابتْ سراتُهم وانحاتَ المِرَرُ(٣
توحَّشوا فرَقاً حتى موارِدُهمْ ما أسأرَ البقرُ الوحشيُّ والحُمُرُ(٤
فهاربٌ بجوارِ الرألِ معتصمٌ وآخرٌ بوجارِ الضبِّ مُنجحرُ(٥
لولا المفاوزُ وارتُهمْ لما وألوا هيهاتَ لمْ يَنجُ مَن ميعادهُ سَقَرُ(٦
فالذلُّ إن صبروا والرُّعبُ ان نفروا والقتلُ ان ظهروا والنارُ ان قُبروا
امّا العُصاةُ فقد ماتوا وما دُفنوا خوفاً واما الأولى دانوا فقد نُشروا
وحاربَتْهُ بنو حَرْب فأوردهم من المنيّة وِرْداً ما لهُ صدرُ(٧
فاصبحتْ منهمُ في البيد ساقطةً كما تساقطَ من اغصانهِ الشررُ
حتى اذا احمرَّتِ الصفراءُ من دمهم وسالَ في كلِّ وادٍ جدولٌ كدرُ
زارَتْهمُ النارُ في الدنيا معاجلةً تلك الربوعَ بما خانوا وما فجروا
تحصّنوا بالجبال الشامخات فما اغنتْ مَعاقِلُهم عنهم ولا الحذرُ
أخفاهم الرُّعبُ والتأمينُ اظهرهم لمّا استغاثوا فما غابوا ولا حضروا
كان السبيلُ الى البيت الحرام وقد تفاقمَ الامرُ صعباً كلُّهُ خطرُ(٨

---

١) الوَدَج عرق الاخدع في العنق ٢) . صَلَّ صوّتَ . والدارع لابس الدرع
٣) المرائر جمع سريرة وهي الغريزة وعزّة النفس . والمِرَر جمع مِرّة وهي قوّة الخَلْق وشدّته
٤) يقول ان اعداءهُ تفرّقوا في البراري كالوحوش حتى اصبح شُرْبهم ما أسأر اي ما أبقاهُ لهم من الماء البقر وحمرُ الوحش
٥) الرأل ولد النعام . ووجارِ الضبّ وكرُهُ . وانجحَر دخلَ فيهِ
٦) وألوا نجا . وسَقَر اسم لجهنم
٧) بنو حرب كانوا موالين للوهابيين في جزيرة العرب فكسرهم ابراهيم باشا لما سار الى محاربة الوهابيين
٨) كان الوهابيّون استولوا على مكّة وتفرّد جم الحجّاج في سيرهم الى الكعبة

حتى الطوافُ على طَيْفِ الخيالِ بما ظنّوا محالًا فخاب الظنُّ بل خسروا(١
ووكّلَ اللهُ بالحجّاج مشكِلًا عليهِ لا الخوفُ يَثنيه ولا الحَوَرُ(٢
يرعاهُمُ بجَنان كلُّه هِمَمٌ بلا فُتورٍ وطَرْفٍ كُحْلُهُ سَهَرُ(٣
يَهْنيه إكرامُ وَفْدِ الله فهو له ذخيرةٌ عند ربِّ الوفد تُدَّخَرُ
جبالُ زادٍ ببحر الآل تحملُها سفنٌ وما ثَمَّ ألواحٌ ولا دُسُرُ(٤
وبالروايا مياهٌ في المفاوزِ من افواهها كالسحاب الجُون تنهمرُ(٥
قُلْ للاعاريب كم رُومٍ وكم عجمٍ راموا الثبات له يوماً فما قدروا
فلا يغرّنكمُ بُعْدُ الديار فما على الأجادل بُعْدٌ حين تبتدرُ(٦
لا غَرْوَ فالاكرمُ المِغوارُ يُذكرُ في القابه الغُرِّ والالقابُ تُعتبَرُ(٧
وخيلُهُ لا تَزالُ الدهرَ مُلجمةً لا الوَهْمُ يلحق مَسْراها ولا النظرُ(٨
تسيل كالبحر الّا انها ابدًا نيرانُ حَرْبٍ على الاعداء تستعرُ
سياطُها العَتْبُ في الغارات ان فترَتْ والخيلُ تُعتِبُ فيما قرّرَ الاثرُ(٩
عَزّتْ لدَيْهِ نواصيها فقد غَبطَتْ جباهُهُنَّ خُدودُ الغيدِ والطُّرَرُ(١٠

١) اي كان المسلمون ينوون من الطواف حول الكعبة حتى زعموا انهُ امر خيالي محال لكن الممدوح خيّب آمال الاعداء بفتحهِ طريق الحجّ
٢) المتّكل عليهِ هو الممدوح
٣) اي انهُ يجعل السهرَ بمثابة الكحل لعينيهِ
٤) يقول انّه تحمل الزاد الى مكّة على سفن لا تجري على البحر بل في البرّ حيث لا تحتاج الى الواح ولا جسور. اراد بها الجبال المدعوّة بسفن البرّ حيث السرابُ يشبهُ ماء البحر
٥) الروايا قِرَبُ الماء. وتنهمرُ تنصبُّ
٦) الاجادل جمع أجدل الصقور وتبتدر تبادر وتسرع
٧) المغوار الكثير الغارات
٨) مسراها سَيْرُها. اي انَّ خيلهُ مستعدّة للقتال وعددها لا يُحصى
٩) اي انَّ خيل الممدوح اذا فترَتْ لا تحتاج الى السياق والضرب. فتُعتب اي تزيل التعابَ وتُرضي راكبها. يشير الى قول الحديث: عاتبوا الخيل فانّها تُعتب
١٠) نواصي الخيل شعر وزوسها. وغبطةُ حسدهُ والغيد جمع أغيد الناعم. والطُّرَر جمع طُرّة ناصية الجواري تكون على شبه العَلَم

مِنْ كلّ طِرْفٍ اذا ما الطَّرْفُ عاينَهُ تقشّعتْ لَبَّهُ الاوضاحُ والغُرَرُ(١
اذا جَرَى الماءَ من أعطافهِ عَرَقاً يكادُ يُقدَحُ من أحداقهِ الشَّرَرُ
أعدَّ للحَرْبِ قلباً ما بهِ وَجَلٌ ومدَّ للمجدِ باعاً ما بهِ قِصَرُ
قَرْعُ القَنَا وزئيرُ الأُسْدِ يُطربهُ عند الملاحِمِ لا كأسٌ ولا وَتَرُ
ان كرَّ يوماً رأيتَ الهامَ طائرةً كما تدحرجَ في ميدانها الأُكَرُ(٢
من تحتهِ البرقُ الّا انّهُ فرسٌ في سرجهِ اللّيثُ الّا انّه بَشَرُ
لا يُشهِرُ السيفَ في خَطْبٍ يُحاوِلهُ الّا على وَقْعةٍ تزْهو بها السِّيَرُ(٣
سيفٌ تبسَّمَ لمّا أن بَكَوا جَزَعاً كأنّما دَمُهم في خدّهِ خَفَرُ(٤
لو لم يكنْ في الطباعِ البَغْيُ ما طُبعتْ زُرْقُ الأسِنَّةِ والهنديّةُ البُتَرُ(٥
استقرِ آيةَ انزلنا الحديدَ تجدْ في طيّها حِكَماً فيهنَّ مُعتبَرُ(٦
كم أساءَ ذوو جَهْلٍ فعاقبُهم بالحلم والحلمُ يستبقي بهِ الظَّفَرُ
يُبرّ من الحلمِ عن رأيٍ يسدّدهُ والبحر يعلو وما من طبعهِ الكدَرُ
قد عشنا صَفَدًا من قبلِ مِدحته من بعد أن كانت الأصفادُ تنتظرُ(٧
جنى علينا رَعاعٌ اصبحوا هَمَلاً فنحن من اجلهم نُجفَى ونُعتذرُ(٨
أحيِ القرائحَ معروفاً ومعرفةً لا يَنبت الزرعُ ما لم يَبطُل المطرُ

---

١) الطِّرْف الكريم من الخيل. والاوضاح التحجيل في قوائم الفرس. والغُرَر البياض في جبهته

٢) الأكر لغةٌ في الكُرَة التي يلعبون بها شبّه بها الرؤوس المجندلة في الحرب

٣) اي اذا باشر المحاربة سُطّرت وقائعهُ في السير فتفتخر به

٤) الخَفَر شدّة الحياء. اي احمرار وجهه من دماء اعدائه يشبّهُ ما اتّصف به من شدّة الحياء

٥) اي لولا جَوْر الاعداء لما صُنعت السيوف الهنديّة. والبُتر جمع باتر السيف القاطع

٦) يشير الى قول القرآن في سورة الحديد (٥٧ : ٢٥) : وانزلنا الحديد فيهِ بأس شديد

٧) الصَّفَد العطاء. اي سبقت هباتهُ طالبي معروفهِ

٨) الرَّعاع سَفَلَةُ القوم. والهَمَل بلا راع

وامتازَ رَسْمي بهِ والشمسُ تَرْفَعُ عن ارضِ الذلّةِ طَلًّا حطَّهُ السَّحَرُ(١

فضعتُ للشكرِ عنّاً طالَ ما وأدَتْ(٢ ابكارَهُ قلّةُ الاكفاءِ والغِيَرُ

ولستُ امدحُ الّا عن مشاهدةٍ والخبرُ يُثبتُ ما لا يثبتُ الخبرُ

ما الفخرُ في الملبسِ المنسوجِ من ذهبٍ لباسُ اهلِ العُلى ما تَنسجُ الفِكَرُ(٣

لا زالَ منتشراً بعدَ الدُّعاءِ لهُ في كلِّ قُطرٍ ثناءٌ نشرُهُ عَطِرُ(٤

وفي آخرِ القصيدةِ ما حرفهُ :

اللهمَّ أَبِّدْ دولتَهُ وايّدْ عزيمتَهُ واجعلْ يومَهُ خيراً من امسهِ وأَدِمْ حراسةَ مجدهِ ونفسهِ بحرمةِ سيّدِ المرسلينَ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ اجمعينَ

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿الشيخ محمّد عبده﴾ لا يجوز ان نفرق بين جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمّد عبده . فانهما سيّان في النهضة الادبيّة التي حدثت في الشرق الاسلامي . ولد الشيخ عبده في اواخر سنة ١٢٦٦ ﻫ (١٨٥٣م) في شنبرا من مديريّة الغربيّة في

١) الطلّ الندى . حطّهُ السَّحَر اي ينزل عنه السَّحَر

٢) الوأد في الجاهليّة دفن الاناث احياء . اي كنتُ اخفي أبكارَ مدحي قبل حضرة الممدوح من قلّة الكفؤ ومن الغيرة على المدح لغير اهله

٣) اي ما يكسوهم به الشعراء من المديح والثناء

٤) النَّشر الرائحة

وامتازَ رَسْمي بهِ والشمسُ تَرْفَعُ عن ارضِ الذلّةِ طَلًّا حطَّهُ السَّحَرُ(١

فضعتُ للشكرِ عنّاً طالَ ما وأدَتْ(٢ ابكارَهُ قلّةُ الاكفاءِ والغِيَرُ

ولستُ امدحُ الّا عن مشاهدةٍ والخبرُ يُثبتُ ما لا يثبتُ الخبرُ

ما الفخرُ في الملبسِ المنسوجِ من ذهبٍ لباسُ اهلِ العُلى ما تَنسجُ الفِكَرُ(٣

لا زالَ منتشراً بعدَ الدُّعاءِ لهُ في كلِّ قُطرٍ ثناءٌ نشرُهُ عَطِرُ(٤

وفي آخرِ القصيدةِ ما حرفهُ :

اللهمَّ أَبِّدْ دولتَهُ وايّدْ عزيمتَهُ واجعلْ يومَهُ خيراً من امسهِ وأَدِمْ حراسةَ مجدهِ ونفسهِ بحرمةِ سيّدِ المرسلينَ صلّى اللهُ عليهِ وعلى آلهِ وصحبهِ اجمعينَ

الآداب العربيّة

في الربع الاول من القرن العشرين

للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

﴿الشيخ محمّد عبده﴾ لا يجوز ان نفرق بين جمال الدين الافغاني وتلميذه الشيخ محمّد عبده . فانهما سيّان في النهضة الادبيّة التي حدثت في الشرق الاسلامي . ولد الشيخ عبده في اواخر سنة ١٢٦٦ ﻫ (١٨٥٣م) في شنبرا من مديريّة الغربيّة في

١) الطلّ الندى . حطّهُ السَّحَر اي ينزل عنه السَّحَر

٢) الوأد في الجاهليّة دفن الاناث احياء . اي كنتُ اخفي أبكارَ مدحي قبل حضرة الممدوح من قلّة الكفؤ ومن الغيرة على المدح لغير اهله

٣) اي ما يكسوهم به الشعراء من المديح والثناء

٤) النَّشر الرائحة

مصر ودرس مبادئ العلوم الدينيّة والفقهيّة في طنطا ثمّ في الازهر لكنّهُ لم يجد في شيوخها واساتذتها ما يأنس بهِ عقلهُ حتى قدم الى مصر جمال الدين الافغاني سنة ١٢٨٨ (١٨٧٥م) فحضر دروسهُ مع بعض ادباء مصر وشُغف بتعليمه واخذ عنهُ المنطق والفلسفة وارتوى من روحهِ حتى قام مكانهُ بعد ان أبعد الافغاني وعُهد اليهِ التدريس في المدارس الاميريّة فازدحم الطلّاب لاستماعهِ وحرّر في الوقائع المصريّة مقالات أثّرت في مواطنيهِ كان يدعوهم فيها الى الاصلاح . وفي تلك الاثناء وقعت حوادث عرابي باشا وحوكم هو بسببها وحُكم عليهِ بالنفي . فجاء سوريّة واقام فيها ستّ سنوات انتدبهُ في اثنائها رئيس رسالتنا الى شرح مقامات بديع الزمان فلبّى طلبهُ وأحكم تفسير تلك الطُرَف اللغويّة التي راجت رواجاً عظيماً فتكرّر طبعها

ثمّ سافر الشيخ عبده الى باريس وفيها اجتمع باستاذهِ الافغاني فنشرا « العروة الوثقى » التي مع قصر زمانها اصابت بين المسلمين شهرة كبيرة . وكان الشيخ مدّة اقامتهِ في عاصمة فرنسة وقف على تمدّن الغرب ورقيّهِ وخمود الشرق وخمولهِ لاسيما بعد ان درس اللغة الفرنساويّة واطّلع على كنوزها الادبيّة . فكان ذلك سبباً كبيراً لاصلاحهِ في وطنهِ . ثمّ اجازوا لهُ بالرجوع الى مصر فتقدّم الحكومة [illegible] مستشاراً في محكمة الاستئناف وعضواً في مجلس ادارة الا[illegible] سليم سيراً رئاسة الافتاء في الديار المصريّة سنة ١٣١٧ (١٨٩٩م) فقام بواجبات منصبهِ احسن قيام الى سنة وفاتهِ سنة ١٣٢٣ (١٩٠٥م) وهو لا يزال يدعو الى اصلاح الدين وذويهِ . وقد ألّف كتباً عديدة اكثرها دينيّة كتفسير القرآن والرسالة في التوحيد . وبعضها منطقيّة وادبية واجتماعيّة . ومما لم نستحسنهُ لهُ كتابهُ الاسلام والنصرانية . وفيهِ اشياء كثيرة لا توافق تعاليم النصرانيّة اخذها عن بعض اعداء النصرانيّة او حملها على غير معناها . ولو راجع في ذلك علماء الدين المسيحي لوقف على الصواب

﴿ محمود باشا سامي البارودي ﴾ هو ايضاً من اركان النهضة الادبيّة في اواخر القرن السابق وغرّة القرن الحالي . كان من مولّدي الجركس وكان ابوهُ حسن بك من امراء المدفعيّة في الجيش المصري . ولد ابنهُ محمود في القاهرة سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠م) ثمّ تخرّج في المدارس الحربيّة في مصر وتلقّن فيها مبادئ العلوم فأحرز منها قسماً حسناً وانّما تغلّب عليهِ الادب وأُغرم بالشعر العربي واتقن اللغتين التركيّة

والفارسيَّة وتقلَّب في المناصب العسكريَّة وحارب مع الاتراك في الحرب الروسيَّة سنة ١٨٧٧ وكانت مصر انفذت لمساعدة الدولة العثمانيَّة نجدةً كانت فرقتُهُ من جملتها فكُوفي لحسن بلائهِ برتبة اللواء. وتعيَّن سنة ١٨٧٩ مديرًا للجهة الشرقيَّة ثم تولَّى نظارة الحربيَّة ثمَّ الاوقاف ثمَّ المعارف. وكان لهُ يد في الثورة العرابيَّة فنُفي الى سيلان ثم عُفي عنهُ وعاد الى وطنهِ وانقطع فيهِ الى الآداب الى سنة وفاتهِ وكفَّ بصره في اواخر حياتهِ. وهو احد امراء الشعر العربي الحديث يُعَدّ شعرهُ من الطبقة الاولى مع القليل من معاصريهِ من شعراء مصر وشعرهُ يجمع بين السهولة والمتانة

ومن آثارهِ مجموع نفيس دعاهُ مختارات البارودي في اربعة اجزاء ضمَّنهُ اطيب قصائد قدماء الشعراء قسمها الى ستة ابواب واسعة. ودونك مثالًا من شعرهِ قال يرثي زوجتهُ وهو في المنفى :

وردَ البريدُ بغير ما أَمَّلتُهُ ... فعبستُ لمَّا عبسَ البريدُ وشاقَ وجهُ الحادي
فسقطتُ منشيًا عليَّ كأنَّما ... خشتْ صميمَ القلبِ حيَّةُ وادي
وَيلُمِّ رُزْءٌ أطارَ نومَ جفونهِ ... بالقلبِ شُعلةُ مارجٍ وقَّادِ

ومنها :

أسليلةَ الفرسَين اينَ نجيعةٌ ... حلَّت لفقدكِ بين هذا النادي
أعزيزٌ عليَّ بأن أراكِ رهينةً ... في جوف أغبرَ قاتمِ الأسوادِ
او أن تَنيني عن قرارةِ منزلٍ ... كنتِ الضياءَ لهُ بكلِّ سوادِ
لو كان هذا الدهرُ يقبلُ فديةً ... بالنفسِ عنكِ لكنتُ اوَّلَ فادي
قد كدتُ اقضي حسرةً لو لم اكُنْ ... مترقِّبًا لُغيابكِ يومَ معادِ
فعليكِ من قلبي التحيَّةُ كلَّما ... ناحت مطوَّقةٌ على الاعوادِ

وقال يصفُ حالتهُ في منفاه الى سيلان (وهي سرنديب القدماء).

لم يبقَ لي اربٌ في الدهر اطلبُهُ ... الَّا مصاحبةَ حرٍّ صادقِ الخالِ
وابن أدرك ما أبغيهِ من وطرٍ ... والصدقُ في الدهر أعيا كلَّ محتالِ
لا في سَرَنديبَ لي إلفٌ أجاذبهُ ... فصلَ الحديثِ ولا خلٌّ فيرعى لي
ابيتُ منفردًا في رأسِ شاهقةٍ ... مثلَ النُظامي فوقَ المَرْبِعِ العالي

اذا تَلَفَّتُّ لم أُبصِر سوى صُوَرٍ في الذهنِ يرسمُها نقّاشُ آمالي
تَحْنو بيَ الريحُ احياناً وَيَلْحفني بَرْدُ الظلالِ بِبُرْدٍ منهُ أسمالي
فلو تراني وبُرْدي بالندى لَبِقٌ لَمِلْتَني فرخَ طيرٍ بين أدغالِ
لا يستطيعُ انطلاقاً من غيابتِهِ كأنّما هو مقولٌ لمقالِ

﴿ عبد اللطيف الصيرفي ﴾ هو شاعر مصري معاصر لسامي البارودي كاد يجاريه في سنتَي مولده ووفاته . ولد في الاسكندريّة سنة ١٢٥٧ هـ (١٨٤١م) وتوفي سنة ١٣٢٢ هـ (١٩٠٤م) تعلّم في المدارس الاهليّة حتى أتقن اللغة العربيـة والحساب والانظام وبرع بالخطّ فدخل في دواوين التحريرات وخدم حكومة وطنه زمناً طويلاً ثمّ اشتغل بفنّ المحاماة الى سنة وفاته . صنّف ديواناً نشرهُ بعد وفاتهِ ابنهُ عبد العزيز وهو مجلّد واسع في ٢٢٠ صفحة طُبع سنة ١٣٣٥ هـ (١٩٠٨م) وشعرهُ سهل وسَط لا يخلو من بعض الرقّة والتفنّن وكذلك نثرهُ لهُ منهُ فصول ومراسلات ومداعبات مسجّعة

ومن شعره قالهُ يهجو احد العمّال في دمنهور :

كانت دمنهورُ لنا مهدَ المحاسن والظرائفْ
لا زلتَ يا دمنهورُ تُدرّها ربُّ الضفائفْ
خيرى الخلائق احمدٍ مُحيي المآثر والمعارفْ
وسمتْ لنادي فضلهِ اهلُ الفضائل والوارفْ
فاستأنستْ نفسي بجم وظلّلتْ ألنقط الظرائفْ
واقول قد سعدت دمنهورُ وراقت كلَّ طائفْ
لكن جا كلبٌ عَقُورٌ قد بدتْ منه المخاوفْ
لا زال يطفرُ كاسرًا فيُسيء جالبها وواقفْ
حتى غدتْ موبوءةً برجوده والكلُّ واجفْ
فمن الذي يأتي لها ما دام فيها الكلبُ عاطفْ
ألا وبَستورٌ لهُ في كل آونةٍ مساعفْ
ولربّما لم يُجدهِ تطبيبُهُ والداءُ نافقْ
فالله يخفي رسمهُ منها فتأخذهُ المتالفْ
لأكونَ اوّل آمنٍ وأكونَ آخرَ من يجازفْ

(لهُ بقيّة)

مطبوعات شرقية جديدة

Joseph Huby: VERBUM SALUTIS «Collection de Commentaires sur le Nouvean Testament. I COMMENTAIRE DE L'ÉVANGILE SELON S^t MATTHIEU par le P. Alfred Durand. 1 vol., pp. XIV-500, 3^e éd. 1924. II COMMENTAIRE DE L'EVENGILE SELON S^t MARC par le P. J. Huby. 1 vol., pp. XIX-430, 2^e éd. 1924 *Paris, Gab. Beauchesne, rue de Rennes*, 117

تفاسير على انجيلَي القديسين متى ومرقس

قد باشر الآباء اليسوعيون في باريس منذ عهد قريب طبع مجموع نفيس اطلقوا عليهِ اسم «كلمة الخلاص» وهو نعم الاسم والمسمّى يريدون بهِ اسفار العهد الجديد وخصوصاً الاناجيل الاربعة المقدّسة اتّفقوا على تفسيرها تفسيرًا وافياً مبنيًا على اصدق ما ورد في كتب الآباء واللاهوتيين وارباب اللغة والاكتشافات الحديثة يستفيد منهُ طلبة المدارس ومحبُّو الشروح الكتابيّة حائدًا عن الابحاث العقيمة مزيلًا للمشاكل العصريّة. والذين يقومون بهذا العمل كلُّهم من الاختصاصيين الذين استوطنوا الشرق زمناً وعلّموا عدّة سنين شرح الاسفار المقدّسة. وقد ظهر من هذا المجموع شرح انجيلي القديس متى والقديس مرقس تولّى نشر الاوّل حضرة الاب الفرد دوران فنقلهُ عن الاصل الى اللغة الفرنسويّة نقلًا مدقّقاً وبليغاً معاً ثمّ ألحقهُ بتفسير واسع نظري وعمليّ لا يفوتهُ شيء ممّا وضعهُ العلماء اجمالًا على بساط البحث فيوضح كلّ مسألة بحيث يقتنع من ادلّتهِ كلّ طالب الحقّ. امّا انجيل القديس مرقس فالساعي الى نشرهِ حضرة الاب هوبي وقد صوّر في تفسيرهِ لهذا الانجيل صورة عقلهِ الذكيّ ونفسهِ التقيّة فجمع بين بلاغة التفسير ودقّة المعاني لاسيما المعاني اللغويّة التي يمكن استخلاصها من تعاليم الربّ يسوع. وكلاهما يتحاشى الجدال ويفضّل بيان الحقيقة بهدوء وسكينة. وقد تلقّى الجمهور هذا العمل بكلّ الرضى حتى ان الشرحين تكرّر طبعهما بزمن قريب. وعمّا قليل سيصدر شرح انجيل القديس لوقا لاختصاصيّ آخر حضرة الاب ڤالنسان وشرح انجيل مار يوحنا للاب دوران. ولا نأخذ على هذه

المطبوعات شيئاً سوى دقّة حروفها ورقّة ورقها فيا ليت المتولّين لنشرهـا يصلحون ذلك في ما ينوون نشرهُ قريباً الاب يوسف ديلانسيغر

MÉLODIES LITURGIQUES SYRIENNES ET CHALDÉENNES recueillies par DOM JEANNIN O. S. B. : MÉLODIES SYRIENNES. I Introduction musicale, *in-4°, pp.* 305, 1924 *édit. Leroux, Beyrouth, Imprimerie Catholique*

الالحان الموسيقيّة في الكنيستين السريانيّة والكلدانية

هذا اوّل كتاب علمي يصدر في الالحان الدينيّة السريانيّة بهمّة حضرات الآباء البندكتان دون جانّان ومساعدة اخويه الراهبين دون پرياد (Don J. Puyade) ودون لاسال (Dom A. Chabas Lassalle) وليس هذا القسم سوى مقدّمة جميلة وافية في الموسيقى الدينيّة في الكنائس السريانيّة تبلغ ٣٠٥ صفحات من قطع الربع شرح فيه المؤلفون كل ما يُعرف من اوزان الموسيقى الكنائسيّة والحانها وقواعد إنغامها فأحسنوا ما شاؤوا. وقد سُررنا بانّ تأليفهم هـذا نال رضى الحبر الاعظم والحكومة الفرنسويّة يخصّ بحاستها. ويا ليت يقوم احد كهنة السريان بتعريب هذا الكتاب الجليل. وقد تشرّفت مطبعتنا الكاثوليكية بنشر هذه الطرفة الجليلة. وعمّا قليل ن شاء تصدر الالحان الكنسيّة مضبوطةً بالعلامات الموسيقيّة وبذلك يتوارثها الخلف دون ان يصيبها فساد كما نرى في الالحان الشرقيّة

G. Levenq S. J. : La Première Mission de la C^ie de Jésus en Syrie 1626-1774. I *vol. in-8°. Beyrouth. Impr. Catholique*, 1925, *pp.* 97

تاريخ رسالة اليسوعيين القديمة في سوريّة

لم يُكتب حتى اليوم تاريخ لرسالتنا القديمة في سوريّة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. فتفكّر حضرة الاب لوفنك ان يسدّ هذا الخلل بهذه الخلاصة التي تتّبع فيها اجمالاً اعمال الرهبانيّة اليسوعيّة من مبادئها سنة ١٦٢٥ الى السنة ١٧٧٤ حيث أُلغيت ببراءة البابا اقليمس الرابع عشر. ومع كونها مختصرةً فهي تشمل مجمل اعمال الرهبانيّة في أديرتها الخمس: حلب ودمشق وصيدا وطرابلس وعنطورا. مع ذكر مشروعاتها المختلفة لخدمة الكنائس الشرقيّة في سوريّة ومشاهير رهبانهـا كالآباء اميو وشيزو وكوبرو وفروماج. وفي آخر الكتاب فهرس واسع للاعلام والمواد ل. ش

René Basset: MILLE ET UN CONTES, RÉCITS ET LÉGENDES. I Contes merveilleux, Contes plaisants. 1 *vol. in*-8°, 552 *p. Paris, Maisonneuve*, 1924, *Prix* 55 *f*°

الف رواية ورواية

قد فُجعت الدروس الشرقيّة آخرًا بوفاة مؤلف هذا الكتاب المستشرق الكبير رينه باسيه بعد انخدمفي الجزائر الآداب الشرقيّة مدّةسنين طويلة. وهذا الاثر الاخير هو مجموع فريد من تآليف عربية عديدة يبلغ عددها نحو الثمانمائة اختار منها روايات وقصصاً ونوادر في عدد ١٠٠١ معارضاً بذلك كتاب الف ليلة وليلة وقد نقل تلك المنتخبات الى اللغة الفرنسويّة واشار الى اصلها وذيّل كل قطعة ببعض الملحوظات المفيدة. وهذا القسم الاوّل لا يحتوي الّا ٢٢٩ قطعةً وهو متقن الطبع محكم الترجمة الفرنسويّة يفيد كلّ من يسعى الى نقل المنتخبات العربيّة الى الافرنسيّة. فتتمنى للكتاب رواجاً كبيراً بين الشرقيين والمستشرقين وننتظر بفروغ الصبر صدور الاجزاء التالية منهُ ل. ش

Baraude (Henri): AUX PAYS DU MIRAGE, SYRIE ET PALESTINE. 1 vol. in-8°, Paris, 1924. 16 planches en couleur. Société d'éditions géogr., maritimes et coloniales

رحلة الى بلاد السراب : سوريّة وفلسطين

هذه رحلة تضاف الى الرحل العديدة التي يصنفها السيّاح بعد تجوّلهم في اصقاعنا. والحقّ يقال انّنا لم نجد فيها ما يستحقّ الذكر وانّما المؤلف يضف لنا غالباً عواطفهُ لدى مشاهدته البلاد. لكنّنا استحسنّا تصاوير الكتاب الملوّنة التي رسمها بيده. وقد وقع في تآليفهِ عدّة اغلاط فانهُ (ص ٥٠) يجعل بيروت عاصمة سوريّة. وكتب اسم غزير Ghazis واسم افقا Aphoca وزعم انّ آثار جبيل هي في متحف اللوفر في باريس. وخلط (ص ١٥٨) بين خارطة الشام وجزيرة العرب ج. ل

Hederer (Charles, Docteur): L'ILE DU CHATEAU - ROUGE (CASTELLORIZO). Extrait de la Revue Maritime. 1 *vol. gr. in*-8°, 1924, *Paris ibid., Prix* 3 *f*°, 50

جزيرة القصر الاحمر (كستلوريزو)

هذه الجزيرة احدى جزائر بحر سفيد الصغير لا يزيد طولها على سبعة كيلومترات

وعرضها على اربعة احتلّها الفرنسويّون في أيّام الحرب الكونيّة بعد احتلالهم اروادَ وهي قريبة من برّ الاناضول من القاطعة المعروفة عند اليونان بليقيـة (Lycie) . فؤلف هذا الكتاب يصف لنا الجزيرة وتاريخها القديم واخلاق اهلهـا وما صنعتـهُ فرنسة لخيرهم عند احتلالها فنُزعت منها بعد الحرب

Ducrocq (Georges): Le Journal de Soleiman. 1 *vol. in*-12,*s. d.*,*Paris, Rouart et Watelin*

مذكّرات سليمان

سليمان اسمٌ لشابّ من العجم تخيّلهُ الكاتب المسيو دوكرو ونسب اليهِ الاكتتاب في الجيش الفرنساوي ثمّ الرجوع الى وطنهِ العجم في بدء الحرب الكونيّة فيـدوّن هناك مذكّراتهِ ويقصّ لمواطنيهِ ما وجده في فرنسة من الاشخاص والاعمال والاخلاق وذلك بطريقةٍ مبتكرة بهجة فكهة وانشاء عصري منسجم يسيل رقّةً وعذوبة . فقد قرأناهُ بكلّ شوق ورأيناهُ يفوق على كتاب منتسكيو الذي عنوانهُ « الرسائل الفارسيّة» (Lettres Persanes) فنتمنى لهذا الكتاب كل رواج ونخصّ كاتبهُ على ملازمة الكتابة [illegible]

Gilbert Gile-Nicaud. Le raid m[illegible]eux Préface Doisy. *Paris-Tokio en avion*, 66 *Photogr. et Cartes, in*-1 *Paris, Plon*

الطيران من باريس الى توكيو

روت الجرائد في العام الماضي الشوط العجيب الذي قام بهِ الطيّار بلّتيه دوازي بين باريس وتوكيو عاصمة اليابان . وهذا الكتاب قد خُصّ بوصف هذه الرحلة الجوّيّة . وبيان فوائدها من الوجه الاقتصادي ومن الوجه الادبيّ . فالاقتصادي للمعاملات الماديّة بين فرنسة والشرق الاقصى والادبيّ لافادة اليابانيين من التمدّن الاوربّي ولمعرفة الاوربّيين باخلاق اليابانيّين وشؤونهم . وقد مدح احد المحامين الصينيّين في ثنتاي هذه الرحلة قائلاً : لو رأينا في جوّنا كثيرين من جنس « دوازي » لعرفنا فضل فرنسة على سواها من الدول ج . ل

Comte J. Du Plessis. La vie héroïque de Jean Du Plessis, Commandant du Dixmude 1892-1923 *in*-16, *s. d.* 2 *Grav. hors texte et* 2 *Cartes, Paris. Plon*

سيرة البطل جان دوبلّس

في اواخر كانون الاوّل من السنة ١٩٢٣ تناقلت الجرائد خبرًا مفجعاً وهو سقوط

الكرمندان جان دوبلسي في شواطئ صبلية من المركبة الهوائية المرسلة لاستكشاف اواسط افريقية . فاسف الجميع لفقدان هذا الضابط الشهير في ريعان شبابه . وقد تشرفت جنازته بحضور كبار دولة فرنسة واشرافها فقال في رثائه وزير البحرية : «قد فقدنا اليوم فضائل رجل قديس وايمان رسول . فان حياته وموته يدلان على شهامة بطل » وليس هذا المدح كلاماً فارغاً . فان ترجمة حياته التي نحن بصددها قد كتبها ابوه الاسيف فيلوح منها صدق الثناء الذي قاله وزير البحرية . فان جان دوبلسي كان كاثوليكياً عريقاً في دينه وبطلاً شهماً في خدمة وطنه ج . ل

Joseph-Barthélemy : Le Gouvernement de la France. I vol. in-8°, nouvelle éd., Paris, Payot. 1924, Prix 12 f°

الحكومة الفرنسوية

يبحث مؤلف هذا الكتاب عن الحكومة الفرنسوية من حيث تركيبها ودوائرها ونظامها ويتتبع دستورها وقوانينها التي بموجبها يساس الشعب الفرنسوي وما جرى عليها من التطورات والتحويرات مع وصف قوانين الانتخابات السياسية وقوانين الضرائب . فهو كتاب فريد في جنسه كتبه احد الاختصاصيين الذي هو عضو من اساتذة الحقوق والعلوم السياسية في باريس واحد مبعوثي مجلس الامة لم يَفُتهُ شيء عن تعريف احوال دولته . ولعلهُ اوّل كتاب يحيط علماً بكل امور فرنسة الادارية فلا غنى عنهُ لكل طالب الوقوف التامّ على تركيب الحكومة الفرنسوية ل . ش

Boyer d'Agen : Ave Cæsar. I vol., Paris, 1925 à la Sinie, Société moderne d'impression et d'édition

السلام ليصر

المسيو «برايه داجن» من كتبة فرنسة البليغين قد اشتهر خصوصاً بدرس تاريخ الرومان وسياستهم . وهذا الكتاب الجديد قد بيّن فيه كيف اتّصلت الدولة الرومانية الى اوج عزّها لا ينقصها شيء من وسائل التمدّن المادي وكيف سقطت بغتةً خلوّها من تلك الحياة الادبية الباطنة التي لا ثبات للدول دونها . وبينما كان العالم الروماني على شفير الفناء قام من بين خرابه ذاك الفَرعُ الصغير فرع الدين النصراني الذي نما وامتدّ ظلّهُ الى كافة انحاء المعمور . والمؤلف يستند لاثبات حقيقة كلامه الى

بعض المكتشفات الحديثة التي ترقى الى قرون النصرانيّة الاولى ل.ش

Louis de Launay: LA TERRE, SA STRUCTURE ET SON PASSÉ. I vol. in-16, Paris, Callection Payot. Prix 5 f°

الارض: تركيبها وما فيها

قد ألّف المسيو دي لوناي سابقاً كتابين في جيولوجيّة الارض وفي تاريخ الارض. وها هوذا اشفعهما بكتاب ثالث هو تتمّة الاوّلين شحنهُ بفوائد لا تُرى الّا مفرّقة في سواه وكفى القول لتعريف المؤلف بان نقول عنهُ انهُ احد اعضاء اكاديمية العلوم في باريس. فهو يفتتح كتابهُ بوصف موقع الارض نسبةً الى الاملاك وكيفيّة تركيبها اصلًا الى زمن جمودها وتصلّبها ثمّ يتخطّى الى ذكر طبقاتها وهيئتها الطبيعيّة ثم يذكر ما جرى فيها من المظاهر والتقلّبات في باطنها وخارجها الى ان اصبحت على صورتها الحاليّة مع قاراتها وبحورها ومواليدها الثلثة من جماد ونبات وحيوان وما تحجّر منها. فترى كم يحتوي هذا الكتاب من الابحاث الشائقة التي يتعطّش القرّاء الى الوقوف عليها ل.ش

M. Neveu-Lemaire: Principes d'hygiène et de médecine. 1 *vol. in* - 8° *illustré*, 1925, *Paris, Société d'édit. géogr., marit. et coloniales, Prix* 17 *f*°

مبادئ صحيّة وطبيّة

ألّف هذا الكتاب طبيب رحّالة سافر الى المستعمرات الاجنبيّة وخصوصاً المستعمرات الواقعة في دائرة الانقلاب فبحث عن الامراض التي تحدث في تلك الجهات واسبابها وعلاجها واضاف اليها معلومات جمّة عن عادات اهلها وما فيها من النباتات الطبيّة والجراثيم المعدية. فجاء تأليفاً غاية في الافادة ليس فقط لتلك المناطق البالغة الحرارة لكن لكل البلاد الحارّة عموماً كسوريّة ومصر فيقدر الوطنيّون ان يستفيدوا من ملحوظاته ج.ل

Guyon (René): Anthologie Bouddhique. 2 *vols. in*-16. *Paris, Éd. Crès et C*ie, 1924, *Prix* 13 *f*°

منتخبات من التآليف البوذيّة

كان محلّ كراي في باريس نشر سابقاً منتخبات من كتب المذاهب الوثنيّة المختلفة.

وقد خصّ هذين الجزئين بالمذهب البرذي اختارهما من اخصّ التآليف البرذيّة. وقد قدم موادهما على ابواب شتى كحياة برذا وتعاليمه وملّته والمرويّات عن تاريخه وتاريخ تبعته. وقد صدّر هذه المنتخبات بمقدّمة حاول منها تعظيم برذا ومخلّصه لكنّ من يطالع هذه المنتخبات يجد برذا وشيعتهُ ومذهبهُ اجدر بالازدراء والاحتقار لسخافة صاحبها وغرابة تعاليمه. فهيهات ان ترضي غليلًا لطالب الحقّ ج. ل

كتاب التأمّلات اليوميّة في الحقائق المسيحيّة

للاب شيقاسي خوري اسقفية سان كلود: المجلّد الثالث

تعريب القس مبارك ثابت الديراني طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٣٥ (ص ٥ ٣)

سبق لنا وصف المجلّدين الاوّلين من هذه التأملات اليومية التي يحتاج اليها المسيحيون عموماً والاكليريكيون خصوصاً. وهذا المجلّد يحتوي ٩٢ تأمّلًا للاسابيع الثلثة عشر الواقعة بعد العنصرة. وهذه التأملات حسنة التقسيم غزيرة المادّة منمّقة تغذّي وهي تصلح للقراءة الروحيّة اليوميّة بما تتضمّنه من التعاليم الخلاصيّة. انما اكثر حضرة القس مبارك على مواصلته لتعريب هذه التأمّلات ونؤمل من نشاطه ان يتمّها قريباً بالمجلّد الاخير وبه يتمّ الدور السنوي. والكتاب غاية في الرخص (٢٠ ق س) يُطلب من مؤلفه في مدرسة الرهبان اللبنانيين في بيروت او من مطبعة الاجتهاد. ويا ليتهُ طُبع على ورق اصفق ل. ش

كتاب العفاف للاسقف جيرم اسقف ثالنس

تعريب الابوين برنردوس وبطرس الاهمجيين اللبنانيين

طُبع في مطبعة الاجتهاد سنة ١٩٣٤ (ص ١٤٠)

ما احوج هذا العصر الفاسد الى العفاف والطهارة. فانّ روح العالم كلّه متّجهٌ الى الشهوات الدنيئة واطلاق العنان للنفس الامّارة فاحسن حضرة الابوين برنردوس وبطرس بتعريبهما هذا الكتاب لاحد اجلّاء فرنسة الاجلّاء. وفيه كلّ ما من شأنه ان يعزّز طهر القلب وتقاوة النفس ويقبّح الاميال المنحرفة والاعمال الدنسة ويردّ

على الاعتراضات الباطلة التي يلوذ بهـا الشهوانيون اتركية نفوسهم والاستسلام الى اهوائهم مع بيان العلاج لذلك الداء العياء بذكر خوف الله وعقابه النفوس الاثيمة وبالالتجاء الى نعمته واسراره للنجاة من ذاك النير الباهظ الذي يهبط بالانسان الدنس الى قعر الذلّ والعار حتى في هذه الحياة

النعمان ملك الحيرة في بني شيبان

رواية ذات اربعة فصول لحضرة الخوري يوحنّا طنوس

طُبعت في مطبعة الاجتهاد في بيروت سنة ١٩٢٤

قـد امتاز حضرة الخوري يوحنّا طنوس منـذ سنين طويلة بتصنيف الروايات التمثيليّة التي يُحسن صَوغها ويحكم تنظيمها وسياق ادوارها فيحضرهـا الجمهور بكل شوق ويستفيدون من تماليمها الادبيّة دون ان تُخدَش آذانهم بكلمة ماجنة او يقع نظرهم على ما يستهجنه البصر العفيف . وهذه رواية النعمان من هذا النمط وهي تصوّر احد ملوك الحيرة النعمان ربّ الخورنق والسدير بعد قتله لعديّ بن زيد في موقف حرج فيطلب منهُ الانتقام زيـد بن عدي وأبيّ حنيدهُ والموالون لهما من العجم بينما ينادره ويدافع عنهُ بنو بكر والمنتمون اليهم الى ان تدور عليه الدوائر . وكنا وددنا لو تُقدّم على الرواية مقدمة تذكر خلاصتها التاريخيّة ل.ش

كتاب الاصنام لابن الكلبيّ

تحقيق الاستاذ احمد زكي باشا

المطبعة الاميريّة بالقاهرة سنة ١٣٣٢–١٩١٤

كنـا أيسنا من الحصول على هـذا الكتاب المطبوع قبل عشر سنين فأتحفتنا به آخرًا دار الكتب الخديوية . فاقبلنا على مطالعته بكل رغبة فـاذا هو اثر جليل لاحد قدماء الكتبة وقف على نسخة وحيدة منها جناب المحقّق المدقق الاستاذ احمد زكي باشا فنشرها نشرًا متقنًا وذيّلها باللحوظات الشيقة بل ضاعف قيمتها بما تقدّم عليها وألحق بها من المعلومات الممتعة عن ابن الكلبيّ وسيرته وتآليفه وخصوصاً عن

كتاب الاصنام ثمَّ عن الأدباء الذين ورد ذكرهم في كتاب الاصنام كراوي الكتاب المرزباني وناسخهِ الجواليقي وغيرهما هذا مع فهارس واسعة. فجاء الكتاب سفرًا جليلًا تزدان بهِ مكاتب الشرقيين والمستشرقين كما تحلَّى جيدها بطبعة الموما اليهِ لكتاب التاج في اخلاق الملوك للعلَّامة الجاحظ

ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان

للقس بطرس نصري الكلداني

طُبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين (مجلَّدان ص٥٩٩ و ٦٦٨ ١٩٠٥-١٩١٣)

قد تلطَّف غبطة السيد عمانويل يوسف توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبى فأهدانا نسخةً من هذا التاريخ النفيس الذي ضمَّنهُ مؤلفهُ المرحوم (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٦٥٧—٦٦٠) معلوماتٍ تاريخيَّة واسعة عن تاريخ الكلدان والسريان منذ عهد الرسل الى ايامنا. على انَّ الحرب الكونيَّة لم تسمح له بانجاز المجلَّد الثاني فوقف عند اخبار القرن التاسع عشر في عقدهِ الرابع فتضاءل الاشواط العميقة ولم يبقَ سوى تاريخ الازمنة الاخيرة. لكنهُ سدَّ نوعًا النقص الباقي من تاريخ كلدو واشور للمثلَّث الرحمات مطران سعرت اذي شير وقد احسن القس نصري بجمعهِ بين تاريخي الكلدان والسريان لما بين الطائفتين من العلائق الوثيقة ولامتزاجهما غالبًا في العراق وما بين النهرين. اثاب الله كاتبهُ على هذا العمل المأثور ل. ش

شذرات

﴿ رسالتان رعائيَّتان ﴾ بمناسبة الصوم الاربعيني نشر نيافة القاصد الرسولي السيد فريديان جياني وسيادة المطران باسيليوس قطان رسالتين رعائيَّتين الواحدة في التساهل الديني والاخرى في الصدق وهما مختلفتان لفظًا متَّفقتان معنًى فانَّ الاولى تشجب ذاك التسامح الزائد الذي يتستَّر تحت كنف المجاملة والاتحاد الوطني ليضحِّي المبادئ الدينيَّة والوحي الالهي فيفضي الى الكفر والزندقة الساعية اليها الشيعة

كتاب الاصنام ثمَّ عن الأدباء الذين ورد ذكرهم في كتاب الاصنام كراوي الكتاب المرزباني وناسخهِ الجواليقي وغيرهما هذا مع فهارس واسعة. فجاء الكتاب سفرًا جليلًا تزدان بهِ مكاتب الشرقيين والمستشرقين كما تحلَّى جيدها بطبعة الموما اليهِ لكتاب التاج في اخلاق الملوك للعلَّامة الجاحظ

ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارقة والمغاربة السريان

للقس بطرس نصري الكلداني

طُبع في الموصل في دير الآباء الدومنيكيين (مجلَّدان ص٥٩٩ و ٦٦٨ ١٩٠٥-١٩١٣)

قد تلطَّف غبطة السيد عمانويل يوسف توما بطريرك الكلدان الكلي الطوبى فأهدانا نسخةً من هذا التاريخ النفيس الذي ضمَّنهُ مؤلفهُ المرحوم (اطلب ترجمتهُ في المشرق (٢١ [١٩٢٣]: ٦٥٧—٦٦٠) معلوماتٍ تاريخيَّة واسعة عن تاريخ الكلدان والسريان منذ عهد الرسل الى ايامنا. على انَّ الحرب الكونيَّة لم تسمح له بانجاز المجلَّد الثاني فوقف عند اخبار القرن التاسع عشر في عقدهِ الرابع فتضاءل الاشواط العميقة ولم يبقَ سوى تاريخ الازمنة الاخيرة. لكنهُ سدَّ نوعًا النقص الباقي من تاريخ كلدو واشور للمثلَّث الرحمات مطران سعرت اذي شير وقد احسن القس نصري بجمعهِ بين تاريخي الكلدان والسريان لما بين الطائفتين من العلائق الوثيقة ولامتزاجهما غالبًا في العراق وما بين النهرين. اثاب الله كاتبهُ على هذا العمل المأثور ل. ش

شذرات

﴿ رسالتان رعائيَّتان ﴾ بمناسبة الصوم الاربعيني نشر نيافة القاصد الرسولي السيد فريديان جياني وسيادة المطران باسيليوس قطان رسالتين رعائيَّتين الواحدة في التساهل الديني والاخرى في الصدق وهما مختلفتان لفظًا متَّفقتان معنًى فانَّ الاولى تشجب ذاك التسامح الزائد الذي يتستَّر تحت كنف المجاملة والاتحاد الوطني ليضحِّي المبادئ الدينيَّة والوحي الالهي فيفضي الى الكفر والزندقة الساعية اليها الشيعة

الماسونيّة . امـا الثانية فتؤيد الصدق المسيحي وتنفي كل مماراة وكذب ليسير المسيحي بالنزاهة والاستقامة على موجب وصايا السيد المسيح وتعاليم الكنيسة والآباء وادلّة العقل الصائب . فنوصي جميع القرّاء بهذين المنشورين النفيسين ليحرزوا فوائدهما الجليلة

﴿ظهور العرفان وغرائبهُ﴾ تهنئ صاحب العرفان لظهور مجلّته بعد انحجابها اشهراً وفيهـا ما فيها من المقالات اللغويّة والتاريخيّة والادبيّة التي تروق القرّاء مطالعتها وقد استحسنا فيها خصوصاً مقالة الغريب الفصيح في العامي وذلك يؤيد ما قلناهُ سابقاً في فائدة درس اللغة العاميّة لا لاقامتها مقام اللغة الفصيحة بل لاجتناء بعض خواصها . لكننا مع شكرنا لصاحب العرفان مضامين مجلّته المستحسنة أسفنا لآثار تعصبه الذميم الذي كنّا ظننّا انهُ يحيد عنهُ . فمن ذلك ما قالهُ عن اليسوعيين لدى مروره على تعنايل وكسارا فروى ما حرفهُ : « وقيل لنا انّ هذه الاملاك الواسعة صادرتهـا الحكومة العثمانيّة من الوطنيّين واعطتها لليسوعيين في حادثة الستين ارضـاء لفرنسة وهكذا المحترمون يأكلون خبزهم بعرق جبينهم »

فكم وكم من الاكاذيب في هذه الاسطر القليلة . فانّ ارض كسارا قد اشتراها اليسوعيّون بمالهم . امّا ارض تعنايل فكانت ارض مشاعة للدولة العثمانيّة وهي سبخة تغمر قسماً كبيراً منها المستنقعات واعطتها الدولة العثمانيّة لماش ثلثمائة من اليتـامى الذين ذهبوا ضحيّة مذابح سنة الستين . وكان حقّ اليسوعيين ان يطالبوا بها كتعويض عن نهب وحرق ديرهم في زحلة وقتل خمسة من رهبانهم وها قد مرّ عليها ٦٥ سنة يسعى اليسوعيون في حراثتها واستثمارها فصارت الى ما هي بجدّهم وكدّهم . فيرى بعد هـذا صاحب العرفان انّ تهكّمهُ بحقّ اليسوعيين اصدق ممّا ظنّ فانهُ هكذا « يأكل هؤلاء المحترمون خبزهم بعرق جبينهم »

ومن تعصّب صاحب العرفان الذميم قولهُ في حقّ ذاك المفرض البامي الجترال قيتان الـذي عرف الجميع فضلهُ إلّا احمد عارف الزين فكتب (ص ٣١٠) عنهُ « ومع انّ الرجل كان ممدوح السيرة فلم نرَ انهُ عمل عمـلاً محسوساً » أيا ترى أكان ممكناً لرجل ان يأتي باعمال محسوسة كما اتى قيتان مع قصر زمانهِ بيننا . الّا انّ صاحب العرفان يغشي بصره فيجحد وجود النور — ومما علمهُ ولم نعلمهُ قولهُ لقارئهِ (ص ٥٢٨) :

«هل علمت ان الاسبانيين لما استولوا على قرطبة حرقوا مليوناً وخمسين الف مجلّداً من كتب المسلمين واتلفوا سبعين الف مكتبة من مكاتب الاندلس كما قال فندي في تاريخه» فهذه هي الخرافة التي عشّشت في عقول بعض الكتبة وقد اثبتنا مراراً كذبها ولكن لا صوت لمن تنادي. فليراجع ما كتبناه في هذه المفاسف الصبيانيّة ردّاً على صاحب المقتبس في المشرق ٢١ : ٣١٧–٣١٨ و١٣ [١٩١٠] : ١٥٨–١٦٠ و٢٠ [١٩٢٢] : ٦٦٨ و٧٤٩ وقد زادها صاحب العرفان خرافةً على خرافة فزعم ان الاسبان «اتلفوا ٧٠٠٫٠٠٠ مكتبة (كذا)». ثمّ استند في قوله الى فندي في تاريخه فنطلب اليه ان يفيدنا من هو هذا «فندي» الذي لا وجود له الّا في دماغ صاحب العرفان. وكفى بذلك دليلاً على صدقه في هذه الروايات فليدعُنا جانبهُ بعد هذا «بالتمسّ المتعصّب» كما قال عن حقارتنا (ص ٣١١) فاننا نفضّل التعصّب للحقيقة الجليّة الواضحة على التعصّب الاعمى الذي ينكر نور الشمس. ولنا ملحوظات غير هذه على اعداد العرفان الجديدة فنكتفي اليوم بما قلنا

﴿احتجاجنا على التعليم العلماني اللاديني﴾ نضمّ صوتنا الضعيف الى صوت الحبر الجليل السيد اقليمنضوس بارك رئيس الكنيسة البيوت على الغور وكتب معه على ما قاله به حاكم لبنان ناصر المدارس العلمانية اللادينيّة التي استحسن طريقتها في حيادها عن الدين زاعماً انها هي التي تصلح لهذه البلاد وتؤلف بين عناصرها المختلفة وتجمع القلوب في حبّ الوطن ومتّهماً على عكس ذلك زورًا المدارس الدينيّة بالقاء بذار التفريق بين المواطنين كأنّ الاديان ليست اكبر عامل على الاتّفاق واقوى دافع الى بذل النفس والنفيس في خدمة الوطن. وبهذه المناسبة نحيل قرّاءنا الى مقالة كتبناها في المشرق (١٣ [١٩١٠] : ٦٢٠–٦٢٦) ثمّ طبعناها على حدة وبيّنّا فيها انّ المدارس العلمانيّة هي منبع كثير من الشرور بتاليها التناقض لاركان المجتمع الانساني. وان قول اصحابها بانهم يضربون الصفح عن الدين كذبٌ محض وانّ التعليم اللاديني شاء اصحابهُ ام أبوا هو ضرورةً عاملٌ على تقويض اساس الدين وبذر الروح الكفري

﴿رئيس الرهبان المرسلين في اليابان﴾ هو الاب سوره (Soret) الذي قدّمهُ الامير ياماموتو الى ولي عهد اليابان في ٢٦ كانون الاوّل الاخير فسُرَّ باستقباله واثنى على اعمال رهبانه واهداهُ وسام الشمس من رتبة كومندور. وفي ذلك دليل واضح

على اعتبار اليابانيين للكنيسة الكاثوليكيَّة ولمثاليها

﴿من هو الرأس تغاري﴾ ذكرنا في العدد الاخير سفر وليّ عهد الحبش الى رومية وباريس وقد قلنا انهُ ابن الراس ماكونين وابن اخي منليك وقد وقفنا على سبب تقرُّبهِ من الكاثوليك واكرامهِ للحبر الاعظم. وذلك انَّ اباهُ كان رُزق عشرة بنين فماتوا كلهم صغاراً قلَّا ولد تغاري وبلغ الرابعة من عمرهِ اخذهُ ابوهُ وقدَّمهُ للسيد تورين (M^gr Taurin) النائب الرسولي على رسالة الكبوشيين في الحبشة قائلاً: لم يبقَ لي احد من اولادي غير هذا فاسلّمهُ الى يدك لكي تحفظهُ لي ولوطني. فاخذهُ السيد الجليل وقبَّلهُ ثمَّ نزع عن صدره صليبهُ الاسقفي وجعلهُ في عنق الصبي ثمَّ عُني بتربيتهِ فنشأ محبًّا للمحسن اليهِ وللرسالة الكاثوليكية

﴿ملحوظات على بعض مزاعم الكليَّة﴾ قرأنا في عدد الكليَّة الاخير (شباط ١٩٢٥ ص ١٧٨) في مقالة الاديب انيس افندي النصولي:

« كانت (الكلية اليسوعيّة) تعلّم باللغة العربية اوَّلًا فعدلت عنها بعدئذٍ الى اللغة الفرنساوية وبذلك تكون ايضاً قد وهت لغة الوطن بسهم صائب اذا لم يتدارك ابناء البلاد حقوقهم بمطالبتهم التدريس في لسانهم »

فنقول لجناب الكاتب انَّ كليَّتنا لم تغيّر مطلقاً خطَّتها في تدريس العلوم العصرية فانها دائماً درَّستها باللغة الفرنساويَّة فلم تحر بذلك على مثال الجامعة الاميركيَّة التي علَّمت بضع سنين بالعربيَّة ثمَّ عدلت الى الانكليزيَّة. واما السبب بل الاسباب التي دفعت مدرستنا الاولى في غزير ثم خلفتها في بيروت الى التدريس بالفرنساويَّة انَّ العلوم العصريَّة تأتينا من اوربَّة وخصوصاً من فرنسة مع كتبها المدرسيَّة المتجدّدة والمحسَّنة سنةً بعد سنة مع اصطلاحاتها وادواتها ومجلداتها العلميَّة. فلو درَّسنا اليسوعيُّون بالعربيَّة لضاقت بهم طرق التعليم واكتفوا بالمطبوعات العلميَّة العربيَّة القليلة والقاصرة التي طُبعت في مصر ثمَّ في المطبعة الاميركانيَّة البيروتيَّة ومعظمها لم يُطبع الَّا طبعة واحدة في مدَّة خمسين سنةً فيفوتها معظم الاكتشافات العلميَّة بعد زمن قليل. وما عدلت الجامعة الاميركانيَّة الى التدريس بالانكليزية الَّا للاسباب ذاتها. فكان نظر اليسوعيين أصوب وادقّ

أسئلة وأجوبة

س سألنا احد قرّاء مجلة المقتطف عن رأينا في ما ورد في عددها الاخير (مارس ١٩٢٥ ص٢٤٦) حيث جاء لصاحبها جواباً على من سأله: «هل يوجد شيء من لا شيء؟ ما حرفهُ: «اذا اطلقنا كلمة الشيء على القوّة الكهربائيّة صحّ القول انهُ لا يوجد شيء من لا شيء واذا لم نحسب القوّة شيئاً صحّ وجود الشيء من لا شيء وحينئذ يصحّ قول الفلاسفة انّ الخالق اوجد المادّة من لا شيء لانه اوجدها من القوّة»

وجود شيء من لا شيء على رأي المقتطف

ج رأينا انّ هذا الجواب احد اغلاط المقتطف المعدودة. والحقّ يقال انّنا لا نفهم كيف تكون الكهربائيّة قوّةً وتكون مع ذلك لا شيء. فان هذا نفس التناقض. وان عُدّت الكهربائيّة شيئاً ولا بدّ من القول به وقيل انّ الخالق كوّن منها المخلوقات نُفي في الوقت ذاتهِ خلق العالم من العدم ولا يكون قائل الا مركباً ومهندساً استعان بالقوّة الخارجة عنهُ لتكوين المخلوقات وتلك القوّة مساوية لهُ في القِدَم وهذا ما يزعمهُ الملحدون

س وسأل من الموصل حضرة القس بطرس سابا: انّ الآية المرويّة في انجيل متى (٢٧: ٩) خصوص حقل الدم الذي ابتاعهُ رؤساء اليهود بالثلثين فضّة المردودة من يهوذا الاسخريوطي منسوبة هناك لارميا النبي والحال هي للنبي زكريّا (١١: ١٢) فكيف جرى هذا التبديل؟

آية زكريّا منسوبة لارميا النبيّ في انجيل متى

ج أصحّ جواب على هذا المشكل انّ متّى لم يصرّح باسم نبيّ لا زكريّا ولا ارميا. وانّما قال «كما جاء في النبيّ القائل» والدليل على صحّة هذا الجواب انّ الترجمة السريانيّة المعروفة بالبسيطة الراقية الى اواخر القرن الاوّل او اوائل القرن الثاني لم تنسب الآية لاحد من الانبياء. ومثلها عدّة نسخ لاتينيّة مخطوطة والنسخة الفارسيّة في بولغلوتّة فانتون — وينتسر البعض هذا المشكل بقولهم انّ متى اراد خصوصاً الاشارة الى حقل الفخّار المذكور في ارميا ١٨: ١ و١٩: ٢ و٣٢: ٦ ولو كان اللفظ اقرب الى آية زكريّا

ل. ش